Islamic propaganda in the era of Bani Umayya

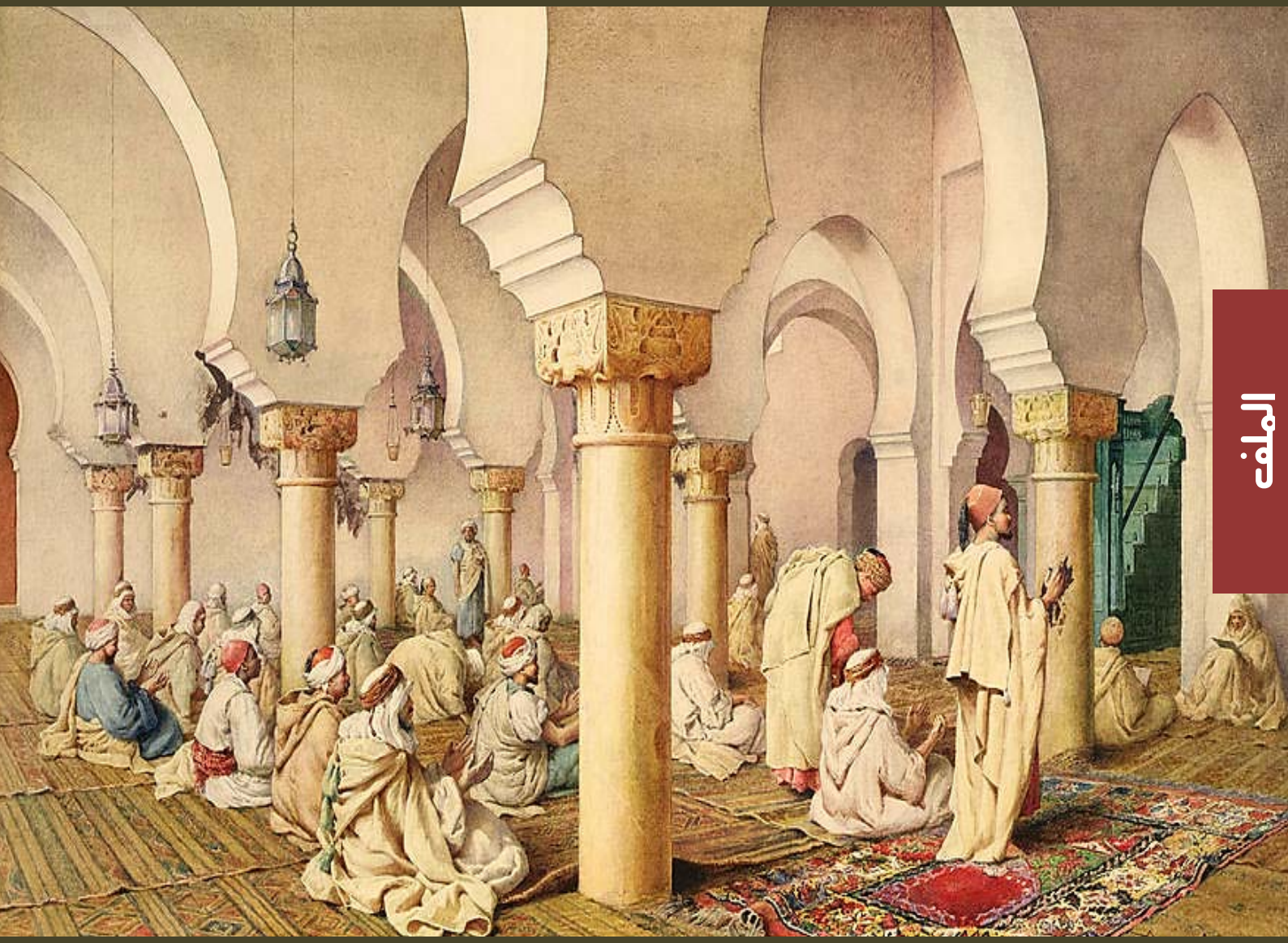

الملف

الدعـــايـــة الإسلاميـــة

في عهد بني أمية

د. علي سلطاني العاتري

أستاذ الإعلام السياسي

كلية الحقوق والعلوم السياسية

جامعة تبسة – الجمهورية الجزائرية

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

علي سلطاني العاتري، الدعاية الإسلامية في عهد بني أمية.- دورية كان التاريخيـــة.- العـــدد الواحـــد والعشـــرون؛ ســـبتمبر ٢٠١٣. ص ١٧٤ – ١٩٥.

www.kanhistorique.org ISSN: 2090 - 0449

كان التاريخية: رقمية الموطن .. عربية الهوية .. عالمية الأداء

مُلَخّصْ

من الصعب التنظير للدعاية الإسلامية من وجهة النظر الإسلامية، ولكن يمكن العثور على نماذج عملية للممارسات الدعائية في التاريخ الإسلامي الدعاية الإسلامية، وقد اخترت الدعاية في العهد الأموي كنموذج تطبيقي للدعاية في التاريخ الإسلامي، وتختلف وجهة نظر الباحثين وتتباين عند تحديدهم لمفهوم الدعاية بناء على تصوراتهم وآرائهم وبيئاتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وطريقة ممارستهم للدعاية. وانطلاقًا من التصور الإسلامي، ونظرة الإسلام للإنسان وعلاقته بالكون، وعلاقة كل من الإنسان والكون بالخالق سبحانه وتعالى. وما يترتب على تلك النظرة من رؤية متميزة لكل القضايا والإشكالية هنا أن تعريف الدعاية ارتبط من حيث النشأة والتطور والاستخدام بأحكام قيمية وأخلاقية غير متفق عليها، ومعرضة للاستخدام الجيد والرديء على حد سواء حسب نوايا وأهداف رجل الدعاية، الذي يظهر في كثير من الأحيان في صورة مَنْ يدعي أنه رجل إعلام أو رجل دعوة، وهذا الطرح ينسجم تمامًا مع المعنى اللغوي لكلمة الدعاية واستعمال المسلمين لها كما ورد على لسان النبي (ﷺ) في رسائل إلى الملوك "أدعوك بدعاية الإسلام".

مُقَدِّمَة

إن الدلالات السلبية التي ارتبطت بالدعاية على أساس أنها عملية تقوم على الكذب والتلاعب بعواطف الجمهور، هذه الدلالات أدت إلى مزيد من الارتباك بين الباحثين وقد أخفقت بحوث الاتصال والإعلام من وجهة نظر إسلامية في الخروج من هذه النظرة السلبية التي رسمها الغرب للدعاية، لأننا إذا قبلنا بمفهوم للدعاية ينص على أنها الجهود المنظمة والمقصودة بهدف تشكيل المدركات والتلاعب بالمعارف والسلوك لصالح أهداف يسعى إلي تحقيقها رجل الدعاية. إذا قبلنا هذا المفهوم فإننا سنجد انه يتضمن محاولة التأثير وتغيير الآراء والاتجاهات والسلوك وهي أمور تدخل ضمن المفاهيم الغربية للدعاية قد يكون من الصعب التنظير للدعاية الإسلامية من وجهة النظر الإسلامية. ولكن يمكن العثور على نماذج عملية للممارسات الدعائية في التاريخ الإسلامي الدعاية الإسلامية. وقد اخترت الدعاية في العهد الأموي كنموذج تطبيقي للدعاية في التاريخ الإسلامي.

وتختلف وجهة نظر الباحثين وتتباين عند تحديدهم لمفهوم الدعاية بناء على تصوراتهم وآرائهم وبيئاتهم السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وطريقة ممارستهم للدعاية. وانطلاقًا من التصور الإسلامي، ونظرة الإسلام للإنسان وعلاقته بالكون، وعلاقة كل من الإنسان والكون بالخالق سبحانه وتعالى. وما يترتب على تلك النظرة من رؤية متميزة لكل القضايا. والإشكالية هنا أن تعريف الدعاية ارتبط من حيث النشأة والتطور والاستخدام بأحكام قيمية وأخلاقية غير متفق عليها، ومعرضة للاستخدام الجيد والرديء على حد سواء حسب نوايا وأهداف رجل الدعاية، الذي يظهر في كثير من الأحيان في صورة مَنْ يدعي أنه رجل إعلام أو رجل دعوة، وهذا الطرح ينسجم تمامًا مع المعنى اللغوي لكلمة الدعاية واستعمال المسلمين لها كما ورد على لسان النبي (ﷺ) في رسائل إلى الملوك "أدعوك بدعاية الإسلام".[1]

ومن المنظور التاريخي درج المؤرخون المسلمون في مؤلفاتهم منذ الخلافة الأموية على استعمال لفظ السياسة للتعبير على الممارسات الدعائية التي كانت تستهدف الإقناع بمذهب، أو اتجاه سياسي، أو تغيير قناعات الناس بمذهب ما ونقلهم إلى المذهب المراد، بواسطة التأثير في عواطف الجماهير وعقولهم، بسبب الصراع الذي نشب بين المسلمين حول موضوع الخلافة والأحقية بها. وهذا تميزًا للنشاط السياسي عن النشاط الدعوي، ونستنتج ذلك من قول المسعودي "وبلغ من إحكام معاوية للسياسة وإتقانه لها واجتذاب قلوب خواصه وعوامه"،[2] فقد عبر المسعودي رحمه الله عن اجتذاب معاوية (رضي الله عنه) لقلوب الأتباع وإتقانه لفن الاستمالة بلفظ السياسة.

وقد ارتبطت الدعاية السياسية في التاريخ الإسلامي بظهور المطامح السياسية منذ الفتنة الكبرى التي أعقبت مقتل عثمان (رضي الله عنه)، ورغم ارتباط الدعاية السياسية في التاريخ الإسلامي بالمصالح والرغبات الخاصة، إلا أن المتتبع لتاريخ تلك الحقبة يلمس أثر الإسلام واضحًا في نفوس المسلمين، ويبدو الإيمان واضحًا كشعور وإحساس يملأ كيان الفرد ويدفعه إلى التحمس للفكر الإسلامي والتعلق به والإخلاص له والتضحية من أجله. وقبل الحديث عن الدعاية في عهد بني أمية لا بد من الإشارة إلى أن بعض الروايات التاريخية التي أوردناها في هذا البحث قد تكون محل اعتراض من قبل البعض وقد تروق البعض الآخر، وحتى لا يسارع الكل إلى اتهامنا بأي تهمة أورد الملاحظات التالية:

- أولاً: نحن نبحث موضوع الدعاية، وفي مجال الدعاية قد نتساهل في إيراد أي رواية تاريخية تؤيد الموقف الذي نحن بصدد الحديث عنه، دون تحقيق، لأن التحقيق في الروايات التاريخية ومقارنتها ببعضها البعض من مهام المؤرخ.
- ثانيًا: ليس كل ما لا نعرفه غير موجود ولا يمكن لأي كان نفي أي خبر بحجة عدم علمه به، لأن لا أحد يملك الصواب المطلق.
- ثالثًا: حاولت قدر الإمكان استبعاد الأخبار الغريبة والتي انفرد بنقلها مؤرخ أو مؤرخين.
- رابعًا: حرصت على توثيق الروايات التاريخية التي قد تكون مثار جدل من مصادرها الأصلية وباستعمال أكثر من مصدر، بل قد الجأ إلى المصدر والمصدر المعارض، وعليه فقد رجعت إلى المصادر الشيعية في بعض القضايا.
- خامسًا: قد لا أكون مقتنعًا بكل ما نقلت من الأخبار التاريخية، لأنني لست بصدد إقرار حقيقة ما أو نفيها، وإنما بصدد نقل الروايات التي تناسب الغرض الذي أتحدث عنه. كما أنني لم

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

أتصيد هذه الروايات التاريخية بعينها إلا بقدر ما يخدم موضوع البحث.

إن حاجة خلفاء بني أمية وحاجة خصومهم إلى أن يكون لهم أتباع واستمالة الأنصار من جهة، والرد على ادعاءات الطرف الآخر من جهة ثانية، جعلهم يلجئون إلى ممارسة فنون الدعاية. وسنتناول الدعاية في عصر بني أمية والأسس التي بُنيت عليها وأساليبها وفلسفتها من خلال المباحث التالية: (أسس الدعاية في العصر الأموي - وسائل الدعاية في العصر الأموي - أساليب الدعاية في العصر الأموي).

المبحث الأول: أسس الدعاية في عهد بني أمية

تنبثق فلسفة الدعاية في الغالب من النظرية السياسية والاتصالية، فلكل مجتمع نوع من الاتصال يناسب ظروفه ويتماشى مع أفكاره، ومن خلال دراستنا لتاريخ الدولة الأموية يمكن أن نميز بين نوعين من النشاط الإعلامي؛[٣] النوع الأول: ارتبط بمصلحة القائمين على النشاط السياسي الذين روجوا لأفكارهم ومذاهبهم قصد التأثير في اتجاهات الناس وآرائهم وسلوكياتهم لتأخذ الوجه المراد من قِبل الداعين، وهذا ما يمكن أن نعبر عنه اليوم بالدعاية، وقد تجسد هذا النشاط في النزاع السياسي خلال العصر الأموي بين تلك الفرق التي بنى كل منها فهمًا معينًا للسياسة في الإسلام، وراحت تروج له وتسعى إلى تثبيته في الواقع العملي. أما النوع الثاني: ارتبط بالمصلحة العامة للأمة، وبقيم المجتمع، ومبادئه، وهو ما سُمي بالدعوة، أو يمكن أن نسميه اليوم بالإعلام. وإذا كان النوع الأول مقصورًا على فئة معينة مخصوصة قائمة بالحكم، أو بعض الأنصار والمؤيدين للسلطة الحاكمة، فإن النشاط الدعوي أو الإعلامي كان مهمة الجميع لأنه مرتبط بالإسلام في مفهومه العام.

وانطلاقًا مما سبق نستخلص الأسس التي استندت عليها الدعاية في العصر الأموي في المطلبين التاليين: (الأساس النفسي - الأساس الفكري).

المطلب الأول: الأساس النفسي

يرى أصحاب نظرية التحليل النفسي أن السلوك الصادر عن الأفراد امتداد لمجموعة من العقد النفسية ومشاعر النقص التي ترتبط بالنشأة الأولى، مما يجعل الفرد أكثر تقبلاً لعملية التلاعب والتأثير وأكثر قابلية للإيحاء.[٤] وإذا أمعنا النظر في تاريخ الخلافة الأموية نجد أن بني أمية وخصومهم استغلوا هذا العامل في استمالة الجماهير وتجنيدها لخدمة أهداف مشاريعهم السياسية ويتبين ذلك في النقاط التالية:

أولاً: عمد الأمويون إلى استغلال الكوامن النفسية لصرف قطاع من المسلمين عن التفكير في موضوع الخلافة، واتبعوا سياسة الإغراء بإغداق الأموال، وتوفير جو الراحة والدعة لشغل قطاعًا كبيرًا من المسلمين وإلهائه، ومن ثَمَّ إبعاده عن ممارسة السياسة، وقد ساعدهم في ذلك ميل كثير من أبناء المهاجرين والأنصار إلى اعتزال السياسة.

ثانيًا: الاعتماد على الجانب النفسي في إثارة العصبية القبلية التي قضى عليها الإسلام، وقد تفنن الأمويون وخصومهم في استغلال العصبية القبلية.

ثالثًا: وجد عبد الله بن الزبير (رضي الله عنه) في سخط قطاع من المسلمين على بني أمية، لأنهم قتلوا الحسين وآل بيته واستباحتهم مكة المكرمة والمدينة، وخروجهم عن نظام الحكم الإسلامي سندًا عاطفيًا كبيرًا لدعايته ضد بني أمية، كما وظف سخط الحجازين بسبب انتقال الحكم من المدينة إلى الشام، واستفاد أيضًا من رغبة القرشيين في إبقاء الحكم في قريش.

رابعًا: لا يخفى أثر الأساس النفسي في دعاية العباسيين لاجتذاب الناقمين على بني أمية والساخطين عليهم لتدعيم موقفهم، فاذكوا روح السخط والكراهية لدى شعوب خراسان، بما ينشرونه من أخبار سيئة عنهم، مستفيدين من الخلاف العقدي بين شيعية خراسان والعراق وسنة الأمويين. كما استغلوا العصبية، فقد عَرف أبو مسلم الخراساني قائد ثورة العباسيين بما أوتي من مهارة وفطنة سياسية كيف يستثمر الانقسام الذي ساد بلاد خراسان، فبذر بذور الشقاق بين جنود بني أمية، مستغلاً روح اليأس والقنوط السائد وسط أبناء هذه المناطق بدعوته إلى المساواة والعدل والرضا من آل البيت.

خامسًا: أدرك رجال الدعاية في العصر الأموي أهمية العاطفة الدينية في تحريك الجماهير، ومن ثَمَّ لم يتركوا مدخلاً من مداخل العاطفة الدينية إلا سلكوه. فقد وضعوا الأحاديث النبوية، وفسروا الآيات القرآنية وفقًا لأغراضها، وحتى الأتقياء والصالحين تمت استثارتهم بطرق موضوعية عزفًا على وتر حبهم للخير والحق والعدل ودفعهم دفعًا لاتخاذ مواقف معينة. كما فسرت الأحاديث المختلقة واستثمرت لإثارة العاطفة الدينية. فقد استغل ابن الزبير حادثة مقتل الحسين لإثارة عاطفة المسلمين الدينية والتشنيع على يزيد بن معاوية. وتعد العاطفة الدينية مرتكز أساسي لدى كل الأحزاب السياسية آنذاك، ومحورًا لكل الصراعات والثورات التي نُسبت خلال ذلك العصر. وسيتبين لاحقًا أن الأساليب والوسائل المستخدمة في دعاية العصر الأموي تستند إلى العاطفة الدينية بالأساس.

تاريخ الدعاية للعصر الأموي منذ مقتل عثمان (رضي الله عنه) وبداية الفتنة الكبرى يؤكد أن المدخل النفسي كان من أهم المداخل الأساسية للدعاية في تلك الحقبة. فقد أدرك معاوية طبيعة التحولات التي طرأت على مكونات المجتمع الإسلامي، وأن هذه التحولات صارت تتطلب نظامًا إسلاميًا جديدًا مختلفًا عن حكم الخلافة الراشدة، وقد ساعده هذا الفهم على كسب الأنصار

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

بوسائل لم تكن معروفة من قبل؛ كمنح العطايا والهبات، وتقليد المناصب وبث الشائعات، مستغلاً طبيعة البادية ووضع أسس استثمارها لصالح دولته. وهي السياسة التي سارت عليها دولة بني أمية من حيث اهتمامها بإثارة العصبيات، وشغل قادة الرأي بمتع الدنيا، كان ذلك بحكم فهم معاوية (رضي الله عنه) للطبيعة النفسية لأبناء عصره الذين رغبوا في الحياة الدنيا ومباهجها، وعلى نفس النهج سار خلفاؤه من حيث الاستفادة من المكونات النفسية للجماهير، وهو نفس الأساس الذي بنى عليه العباسيون دعايتهم فقد استغلوا التكوين النفسي للموالي وطبيعة الظروف التي يمرون بها في التمكين لدعوتهم كما استغلوا ميلهم للعلويين في رفع شعار الرضا من آل البيت.

ويبين عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) تغير أحوال الأمة، واختلافها عن العهود السابقة حين استعجله ابنه في إصلاح أحوال المسلمين، فيقول: "يا بني إني أعالج أمرًا لا يعين عليه إلا الله قد فني عليه الكبير وكبر عليه الصغير وفصح عليه الأعجمي وهاجر عليه الأعرابي حتى حسبوه دينا لا يرون الحقّ غيره".[٥] ومن خلال هذه المقولة لعمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) يتضح مدى التحول الاجتماعي الذي أشرنا إليه من قبل، ومدى الانحراف الذي أصاب الأمة واحتاج عُمر لمعالجته مزيدًا من الوقت والجهد.

ومن النماذج التي ركزت فيها الدعاية على الجانب العاطفي النفسي ما دار بين، معاوية وعبد الله بن الزبير (رضي الله عنهما). قال معاوية لابن الزبير تنازعني على هذا الأمر كأنك أحق به مني. قال ابن الزبير: "لم لا أكون أحق به منك يا معاوية، وقد اتبع أبي رسول الله (ﷺ) على الإيمان، واتبع الناس أباك على الكفر". فأجابه معاوية: "غلطت يا ابن الزبير، بعث الله ابن عمي نبيًا فدعا أباك فأجابه فما أنت إلا تابع لي ضالاً أنت أم مهديًا".[٦]

المطلب الثاني: الأساس الفكري

الدعاية أحد مستويات التعامل النفسي بين الحاكم والمحكوم، ولما كان مجتمع عهد بني أمية يعتبر الدين أحد ركائزه الأساسية فإن الدعاية الموجهة إليه لم تتخل عن تلك الصبغة وخاصةً في مقوماتها التي بُنيت عليها وأُصِّلت على أساسها الرؤية الفلسفية للنظام الاجتماعي السائد. ولهذا اصطبغت الأحزاب السياسية في العصر الأموي بالصبغة الدينية، وكان لكل منها أصوله الفكرية التي اعتمدت في مقوماتها على التصورات الدينية. فأساس الأحزاب السياسية فرق دينية تصارعت انطلاقًا من فهمها لنظرية الخلافة. كما كان مفهوم الدعاية عندها مرادفًا للدعوة، لأن الدعوة نشر للدين وإقامة لدولة تحمي وتدعم الدين، والدعاية تدعيم لسلطة قائمة أو سعي للوصول إليها بناءً على تصور معين، ولذلك ارتبطت الدعاية في العصر الأموي بسياسة الدين لأن السياسة جزء من الدين ولم يكن عندهم فصل بينهما، كما ارتبطت الدعاية بالتعليم واستندت إلى مدارس ثقافية وتيارات فكرية تدعم تحركاتها.

وقد تبلورت مدارس فكرية وأحزاب سياسية ذات أبعاد دينية، وسياسية، وثقافية، وإعلامية، وصار لكل مدرسة منظرون سياسيون، وتأكدت عاطفة الولاء للأتباع بدل الولاء لله ودينه، وارتبط الإيمان بالفكر السياسي، وتعمقت جذوره واقتتل الناس حوله، كل حزب كان يرى أنه صاحب حق وسواه على الباطل، وبرز الجدال كعامل آخر في الدعاية مما أعطى للصراع سمة عقلية. ويتضح أن الدعاية في العصر الأموي ارتكزت على عاملي العاطفة والعقل ومزجت بينهما مع إفراط أو تفريط في جانب من الجوانب، فقد غالت طوائف في استخدام العاطفة كالشيعة مثلاً، وبالغ المعتزلة في استخدام العقل. وسنشير إلى الأصول الفكرية لأهم التيارات السياسية التي عرفتها تلك الفترة:

أولاً: الحزب الأموي

استند بني أمية إلى أن خليفة أمويًا قتل مظلومًا وهو عثمان (رضي الله عنه)، وأهل بيته هم أولياء دمه يمثلهم معاوية وأن الأمويين أصلح للحكم وأقوم الناس بأعبائه وتؤيدهم الكثرة، وأصحاب مجد قديم، وأن نتيجة التحكيم كانت في صالحهم، ثم زعموا أنهم وارثوا النبي (ﷺ) فصاروا بذلك أحق الناس بهذا الملك، وأن خلفاء بني أمية خلفاء الله ورسوله لخلقه فطاعتهم واجبة.[٧] وتتضح معالم نظرية الحزب الأموي السياسية في قول زياد بن أمية في خطبته البتراء في البصرة: أيها الناس: "إنا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم زادة، نسسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل والإنصاف قيمًا ولينا".[٨]

ثانيًا: حزب الشيعة

بدأت بذور هذا الحزب حين سخط الناس عن عثمان وبدا البعض يبحث عن خليفة جديد، وكان علي بن أبي طالب المرشح لخلافة عثمان والتف حوله بعض الأنصار سموا فيما بعد باسم الشيعة، فلما قتل عثمان أسرع إليه أنصاره وبايعوه. وتتلخص نظرية الشيعة في أن علي بن أبي طالب وأبناؤه من بعده هم الخلفاء الحقيقيون وأصحابها الشرعيون، ولا حق فيها لغير العلويين، وأن الأمويين اغتصبوها منهم وينبغي أن ترد عليهم، وأن الخلافة ليست مفوضة للأمة بل تنتقل بالوصية في علي (رضي الله عنه) وأبنائه المعصومين من الأئمة انتقالاً بالنص، ويذكرون أن الرسول (ﷺ) أوصى بالخلافة من بعده لعلي بن أبي طالب يوم غدير.[٩]

ثالثًا: حزب الخوارج

الخوارج في الاصطلاح الشرعي يطلق على كل من خرج على طاعة الإمام الحق الذي أوجب الشرع طاعته وحرم الخروج عليه. وأطلق هذا الاسم على الذين خرجوا على أمير المؤمنين على (رضي الله عنه) بسبب التحكيم.[١٠] ويبني الخوارج نظريتهم السياسية على أن الخلافة ينبغي أن لا تكون قاصرة على قريش، بل تترك لجميع المسلمين لأنها حق الله يتولاها خيرهم ورعًا وتقوى ونفعًا وكفاية، سواء كان هاشميًا قرشيًا أم غير قرشي، أم أعجميًا فهم دعاةً لنظام

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

جمهوري لا تورث فيه الخلافة، بل يتم الوصول إليها بطرق ديمقراطية بواسطة الانتخاب، وعدوا الأمويين مغتصبين للخلافة ينبغي مجاهدتهم ومجاهدة مَنْ ارتضى حكمهم ورفضوا التحكيم لأنه عدول من تحكيم الله إلى تحكيم الناس.[١١] وقد اتسم الخوارج بالتضحية وبذل أنفسهم في سبيل تحقيق مبدأهم وفكرتهم، وفنيت عصبيتهم القبلية والجنسية في عقيدتهم المذهبية.[١٢]

رابعًا: حزب الزبيريين

يُنسب هذا التيار إلى عبد الله بن الزبير، ظهر هذا الحزب بعد تولي يزيد الخلافة، وعقب موت الحسين (رضي الله عنه) اعتصم عبد الله في مكة ودعا لنفسه بالخلافة، وقد خضعت له الحجاز والعراق وخراسان واليمن واستمر إلى أن تمكن الحجاج من محاصرته في مكة وقتله سنة ٧٣هـ[١٣] بنى الزبيريون نظريتهم السياسية على أساس أن الخلافة ينبغي أن تكون في قريش، وأن يتولاها أحد أبناء الصحابة الأولين يختاره المسلمون بالشورى، وأن تكون حاضرة الخلافة الحجاز كما كانت في عهد الخلفاء الراشدين. لذلك اعتصم بمكة وطرد الأمويين من المدينة وسمى نفسه العائذ.[١٤]

خامسًا: حزب الموالي

"الموالي" كلمة تطلق على كل مَنْ دخل الإسلام من غير العرب، وسمي العجم موالي لأن بلادهم فتحت عنوة بأيدي العرب. وظهر هذا الحزب نتيجة موقف الدولة الأموية المتعصب للعرب وتقديمهم على غيرهم في الوظائف العامة، مما أدى إلى نقمة الموالي على العرب عامة وعلى بني أمية خاصة.[١٥] ونتيجة لبغضهم وتذمرهم من بني أمية نجدهم يشاركون في كل الثورات التي قامت ضد الأمويين، فظاهر قسما منهم العلويين وقسم آخر ساند الخوارج، وساهموا في تقويض أركان دولة بني أمية ورفعوا العباسيين إلى الحكم، وبذلك بدأ الفرس صفحة جديدة في علاقاتهم مع العرب.[١٦]

وخلاصة القول؛ أن هذه الاتجاهات السياسية المتناحرة، من أجل الوصول إلى الحكم أو البقاء فيه مارست حملات دعائية شعواء لم تنضبط في حالات كثيرة بضوابط الشرع الإسلامي، بل استخدمت التحريف والتزييف والاختلاق، والإشاعات المغرضة مبررة لنفسها أنها في ساحات القتال.

المبحث الثاني: وسائل الدعاية في العصر الأموي

تستخدم الدعاية كل الوسائل المتاحة للوصول إلى الجماهير المستهدف للتأثير فيه وتختلف الوسائل الدعائية تبعًا للأهداف المرسومة، والمضمون الدعائي، والخطة الدعائية ومهارة وقدرة القائمين على شؤون الدعاية، ولهذا تختلف الدعاية من حيث الوسائل المستخدمة من عصر إلى آخر، إلا أنها كلها تهدف إلى مقارعة الحجة بالحجة والفكرة بالفكرة، والوصول بالمضمون الدعائي إلى أبعد مدى يمكن الوصول إليه وفقًا للإمكانات المتاحة. وبظهور الأحزاب المتصارعة وتبلور اتجاهاتها الفكرية، راح كل منها يسعى لجلب الأنصار والمؤيدين مستعملاً كل الوسائل الممكنة للتأثير على الجماهير وتغيير اتجاهاتهم. ويمكن تقسيم الوسائل الدعائية التي استخدمتها التيارات المتصارعة في العهد الأموي إلى نوعين وسائل أولية ووسائل مساعدة. ونتناولها في المطلبين التاليين: (الوسائل الأولية - الوسائل الثانوية).

المطلب الأول: الوسائل الأولية

استخدمت الدعاية في العصر الأموي مجموعة من الوسائل الدعاية التي تتناسب وعصرها

أولاً: الخطابة

الخُطْبَةُ: لغة؛ هي بضم الخاء، وهي ما يُقال على المنبر، يُقال: خَطَبَ على المنبر خُطْبَة - بضم الخاء- وخَطَابة، وأما خِطْبَة - بكسر الخاء- فهي طلب نكاح المرأة. وهي مشتقة من المخاطبة، وقيل: من الخطب، وهو الأمر العظيم؛ لأنهم كانوا لا يجعلونها إلا عنده. قال في تهذيب اللغة: "والخطبة مصدر الخطيب، وهو يخطب المرأة ويخطِبُها خِطبة وخِطِّيبى... قلت: والذي قال الليث أن الخطبة مصدر الخطيب لا يجوز إلا على وجه واحد، وهو أن الخُطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب، فيوضع موضع المصدر، والعرب تقول: فلانٌ خِطْبُ فلانة، إذا كان يخطبها".[١٧]

وقال في القاموس: "... وخَطَبَ الخاطب على المِنْبَر خَطابة بالفتح، وخُطبة بالضم، وذلك الكلام خُطبة أيضًا، أو هي الكلام المنثور المُسَجَّع ونحوه، ورجل خَطِيبٌ حسن الخُطبة بالضم".[١٨] وقال في المصباح: "خَاطَبَه مُخَاطَبَة وخِطَابا، وهو الكلام بين متكلم وسامع، ومنه اشتقاق الخُطبَة -بضم الخاء وكسرها -باختلاف معنيين، فيُقال في الموعظة: خَطَبَ القوم وعليهم من باب قتل، خُطبة -بالضم -، وهي فُعلة بمعنى مفعولة... وجمعها خُطب، وهو خطيب القوم إذا كان هو المتكلم عنهم، وخَطَبَ المرأة إلى القوم إذا طلب أن يتزوج منهم، واختطبها، والاسم الخِطْبة - بالكسر.[١٩]

أما اصطلاحًا: عرَّفها بعضهم بأنها: الكلام المؤلف المُتضمِّن وعظًا وإبلاغًا.[٢٠] ولكن في هذا التعريف إجمال دون تفصيل. وأوضح منه تعريف من قال: إنها قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة، من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم.[٢١] وعرَّف بعض المعاصرين الخطابة: بأنها فنّ من فنون الكلام، يقصد به التأثير في الجمهور عن طريق السمع والبصر معًا.[٢٢]

والخطابة صفة راسخة في نفس المتكلم يقدر بها على التصرف في نفوس السامعين وحملهم على ما يُراد منهم بترغيبهم وإقناعهم. فالخطابة مردها التأثير في نفس السامع مخاطبة وجدانه وإثارة إحساسه للأمر الذي يُراد منه ليذعن للحكم إذعانًا ويسلم به تسليمًا.[٢٣] وعليه فإن غاية الخطابة الكبرى في تحويل الأفكار الذهنية الجامدة إلى عواطف يشتغل بها السامع، ويتصرف بتأثيرها تصرفًا فيما لا قبل له به فيما يكون في حالة اليقين العادي. فالأفكار التي تقطن الذهن مهما سمت وشرفت تبقى دون تأثير على سلوك الإنسان إذا لم تنتقل من فكرة يعيها في ذهنه بلامبالاة إلى

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

شعور يحول الفكرة الجامدة إلى عمل حاسم. وبهذا فالخطابة في جوهرها أسلوب يعمد إلى بث حالة نفسية أو يقين وجداني حاسم لا يتمكن المرء أن يتحرر منه بل يندفع بتأثيره وقدم على أعمال فائقة تبلغ في أحيانًا كثيرة ما يسميه الناس بطولة.[٢٤]

وتعدّ الخطابة أداة الدعاية للدولة الأموية وخصومها على السواء، وبازدهار الخطب السياسية الدعائية فقد عَرف العصر الأموي ما يمكن تسميته بالمناظرات الخطابية، حيث كانت الخطبة تحل محل السلاح في موضع لا مجال فيه لاستعمال هذا الأخير، وحينئذ يتم التحارب بالخطب بديلاً عن السلاح. وقد اشتهر الحجاج بن يوسف الثقفي بالشدة مع الفصاحة، وخطبه كثيرة، منها خطبته حين قدم الكوفة فأتاها ملثمًا، وصعد المنبر، وحسر اللثام عن وجهه وأنشد: أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ..... متى أضع العمامة تعرفوني صليب العود من سفلى نزار..... كنصل السيف وضاح الجبين، ثم بدأ يقول "إني والله لأري أبصارًا طامحة وأعناقًا متطاولة، ورؤوسًا قد أينعت وحان وقت قطافها وإني صاحبها، وإني لأنظر إلى الدماء تترقرق بين العمائم واللحى".[٢٥] ويلاحظ أن الحجاج اعتمد أسلوب الترهيب في دعايته ولم يعمد إلى الإقناع الهادئ كوسيلة، بل أثار أمامهم الصور المرعبة معتمدًا على الخيال والعاطفة.

وفي خطبة للإمام علي (كرم الله وجهه)؛ بعد أن أغار الأمويون على الأنبار قال مخاطبًا اتباعه: "ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهارًا، وسرًا وإعلانًا وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم فو الله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات وملكت عليكم الأوطان. فيا عجبًا عجبًا والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم فقبحًا لكم وترحًا حين صرتم غرضًا يُرمى يُغار عليكم ولا تغيرون، وتُغْزَوْن ولا تَغْزون، ويُعصى الله وترضون، فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم هذه حَمارَّةُ القيْظ، أمهلنا ينسلخ عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم هذه صَبارَّةُ القُرِّ أمهلنا ينسلخ عنا البرد، كل هذا فرارًا من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أفر يا أشباه الرجال، ولا رجال الأطفال عقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة، والله جرت ندمًا وأعقبت سدمًا... قاتلكم الله. لقد ملأتم قلبي قيْحًا، وشحنتم صدري غيظًا وجرعتموني نُغب التَّهام أنفاسًا، وأفسدتم على رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش : إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا رأي لمَنْ لا يطاع.[٢٦]

ونلاحظ أن الإمام علي (كرم الله وجهه) لم يصرفه الأداء الفني عن العناية بالواقع النفسي للمدعوين، ورغم النقمة عليهم إلا أنه توسل إليهم بما يثير عواطفهم المكبوتة، وحاول استنهاض هممهم.

ومن أحسن خطب الخوارج في هذا المقام خطبة أبي حمزة الشاري لما قدم المدينة قال: "قليلة عقولهم قد قلدوا أهل بيت من العرب دينهم وزعموا أن موالاتهم لهم تغنيهم عن الأعمال الصالحة وتنجيهم من عقاب الأعمال السيئة، قاتلهم الله أفلا يؤفكون فأي هؤلاء الفرق يأهل المدينة تتبعون أم بأي مذاهبهم تقتدون وقد بلغني أنكم تنتقصون أصحابي قلتم هم شباب أحداث وأعراب جفاة ويحكم يأهل المدينة، وهل كان أصحاب رسول الله وآلة المذكورون في الخير إلا شبابًا أحداثًا. أما والله إني لعالم بتتابعكم فيما يضركم في معادكم ولولا اشتغالي بغيركم عنكم ما تركت الأخذ فوق أيديكم شباب، والله مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، أنضاء عبادة وأطلاح سهر، باعوا أنفسًا تموت غدًا بأنفس لا تموت أبدًا، قد نظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقًا إليها، وإذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم ووصلوا كلال الليل بكلال النهار، مصفرة ألوانهم ناحلة أجسامهم من طول القيام، وكثرة الصيام، مستقلون لذلك في جنب الله موفون بعهد الله منجزون لوعد الله، حتى إذا رأوا سهام العدو وقد فوقت ورماحهم وقد أشرعت وسيوفهم وقد انتضيت وبرقت الكتيبة ورعدت بصواعق الموت استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ولم يستخفوا بوعيد الله لوعيد الكتيبة، ولقوا شبا الأسنة وشائك السهام وظبات السيوف بنحورهم ووجوههم وصدورهم، فمضى الشاب منهم قدمًا حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه واختضبت محاسن وجهه بالدماء، وعفر جبينه بالثرى، وانحطت عليه طير السماء وتمرقته سباع الأرض، فطوبى لهم وحسن مآب فكم من عين في منقار طائر طالما بكى بها صاحبها في جوف الليل من خوف الله، وكم من يد قد أبينت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راكعًا وساجدًا، وكم من وجه رقيق وجبين عتيق قد فلق بعمد الحديد، ثم بكى وقال آه آه على فراق الإخوان رحمة الله على تلك الأبدان وأدخل أرواحهم الجنان".[٢٧]

ومن هنا يمكن القول؛ بأن الخطبة كانت أهم عنصر دعائي في العصر الأموي للخليفة أو الوالي أو الثائر على السواء، بحيث يمكن التأريخ للعصر وتفسيره من خلال الكم الهائل من الخطب التي قيلت فيه وقامت بالدعاية لقائل الخطبة وأتباعه، ونتج عن طغيان الهدف الدعائي على الخطبة، أن تحولت الخطبة الدينية خطبة الجمعة إلى خطبة سياسية. وبعد زوال الدولة الأموية لم ينته تحويل خطب الجمعة إلى غرض سياسي، بل أصبح من شعائر الاعتراف بالحاكم هو الدعاء له في خطبة الجمعة، ولا زال ذلك ساريًا حتى الآن في بعض الدول الاسلامية.

ثانيًا: الشعر

يعتبر الشعر من وسائل الإعلام الأولى التي عرفها العرب، وكانت أداتهم الوحيدة في التعبير عن رأي القبيلة، وإذاعة أخبارها ومآثرها، وكان بمثابة الجريدة اليومية التي تتضمن أخر الأخبار والتحليلات السياسية، ومهمته الحفاظ على سمعة القبيلة. وكانت معلقات الشعراء العرب التي تعلق على الكعبة بمثابة الإعلان والإشهار الذين

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

عُرفا اليوم، لأن العرب كانوا يعلنون ويشهرون ويمارسون الدعاية السياسية من خلال تلك المعلقات التي سبقت ظهور الإعلان والإشهار والدعاية بآلاف السنين. ولهذا نجد القرآن الكريم يأتي بلغة العرب ويتحداهم في فصاحتهم التي كانوا يتفاخرون بها ويرد على ادعاءاتهم ودعاياتهم بأوضح بلاغ وأفصح بيان.[٢٨]

وخلال العهد الأموي، اقترن الشعر بالسياسة بعد مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وما تلا ذلك من فتن وحروب وصراعات على السلطة، كان الشعر من أبرز وسائل الدعاية لدى كل فريق من الفرق. وكان بني أمية أقدر الاتجاهات السياسية استمالة للشعراء بحكم وجودهم في السلطة، فكان كثير من الشعراء يناصرون الأمويين حبًا في أعطياتهم أكثر من ولائهم لهم. أما شعراء بني هاشم وشعراء الخوارج، فقد كانوا أخلص لمذاهبهم واتجاهاتهم الفكرية منزهين عن الطمع والمال والسلطان، ولذلك اتسم شعرهم بالإخلاص والصدق.[٢٩] ورغم قسوة بعض الحكام الأمويين وتعقبهم للثوار والداعين إلى الثورة، فقد جهر كثير من الشعراء بما يجيش في نفوسهم من سخط وتحريض، ذلك أن اغلب شعراء المعارضة ثائرون محاربون فهم لا يخشون جريرة المقال، لأن الذي يشهر سيفه ليس أهون عليه من أن يشهر لسانه، وأن جهر بعض الشعراء ممَنْ ليسوا في منعة من الحكام بعض ما اختلج في نفوسهم من تنديد وهجاء يقابلون بحلم الحكام لإطفاء ما بهم من موجدة لعل ذلك يردهم عن البغض والحقد.[٣٠]

وكان معاوية (رضي الله عنه) أول من استن سياسة العفو عن المخالفين وتبعه من جاء بعده، فقد كان كثير الحلم على الشعراء حيث لا ينتظر حلم لأنه أخذ سياسة استنها من قوله: "أنا لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو كانت بيني وبين الناس شعرة لما تقطعت، فإن شدوها أرخيتها، وإن أرخوها شددتها".[٣١]

ثالثًا: الوفود والبعثات

عمل الأمويون على كسب الأنصار والأشياع عن طريق نظام الوفود الذي استحدثه معاوية (رضي الله عنه) أسوة بالوفود التي جاءت إلى الرسول (ﷺ) مبايعة إياه، وكان معاوية يطلب من عماله بالأمصار إرسال تلك الوفود جماعات وفرادى إلى عاصمة الخلافة، بل كان يتوجه هو أحيانًا بنفسه إلى تلك الجماعات. وقد كثرت الوفادة على الخلفاء في ذلك العصر، إما لرفع شكوى، أو للمدح، أو لإعلان النصر والتأييد، وقد يدعو الخليفة بعض الوفود إليه ليعقد حبل مودتهم أو يعاتبهم على بادرة منهم. وعادةً ما كان الوافدون من كبار المتكلمين المجيدين، إذا تكلموا ألقوا كلامهم في لسان مبين، وقول حكيم، وإذا اعترض عليهم سددوا وأتوا بأحسن الخطاب، قال ابن عبد ربه في الوفادة: "إنها مقامات فضل ومشاهدة حفل، يتخير لها الكلام، وتستعذب الألفاظ، وتستجزل المعاني"... ولا بد للوافد عن قومه أن يكون عميدهم، وزعيمهم الذي عن قوسه ينزعون وعن رأيه يصيرون.[٣٢]

ونظام الوفود والبعثات من أشكال الاجتماعات التي تستعملا الدعاية السياسية لتحقيق التقارب والتجاوب بين رجل الدعاية والجمهور، وإذا تحقق التجاوب وضمن رجل الدعاية مستمعيه يتحول الأنصار من مجال الدعاية إلى مجال الاستهواء، ويزيد من ذلك مكان الاجتماع، وكان في الغالب قصر الخلافة، حيث يحاط الوفد بكافة ألوان الكرم والضيافة. كما يلعب الجو المحيط بالخليفة ونبرات صوته ومظهره وتلويحاته وإشاراته دورًا في نفوس السامعين، مما يجعلهم لا يخرجون من عنده إلا وقد غدوا أكثر تأييدًا للخليفة واقتناعًا بوجهة نظره.

أما البعثات، فهي الصورة المقابلة لأسلوب الوفود وهم أفراد يرسل بهم الخليفة أو الداعية إلى مَنْ يريد تبليغهم رسالته. وقد اعتمد النبي (ﷺ) - كما مر معنا- هذا الأسلوب في رسائله التي أرسل بها إلى الملوك والأمراء داعيًا إياهم إلى الإسلام، وكانت هذه الحركة من أعظم ما عرف التاريخ، وهي أشبه ما تكون بالزيارات الرسمية مع الفارق طبعًا.[٣٣] وقد برع الشيعة في استخدام أسلوب البعثات لنشر دعوتهم، خاصةً في منطقة خراسان التي ازداد تذمر الناس فيها وسخطهم من الدولة الأموية. وقد أعد أئمة الشيعة الدعاة وأرسلوهم على شكل بعثات إلى جميع الأمصار الاسلامية يحثون الناس على اعتناق المذهب الشيعي.[٣٤] واستطاعوا من خلال هذه البعثات أن يجلبوا إليهم كثيرًا من المعتدلين الذين سارعوا بالانضمام إلى الدعوة العباسية، وكانوا جنودًا في جيش العباسيين الذي أسقط الخلافة الأموية.

رابعًا: المناقشات والمناظرات

مكتسبات الإنسان الفكرية والثقافية هي في الغالب ثمرة نقاش وحوار، فكل إنسان ينتمي إلى مجموعة يناقش معهم القضايا العامة، ونشأ الرأي العام ابتداءً من الجماعة المحيطة بالفرد من أصدقائه ومعارفه. والدعاية بمحاولتها التأثير بالرأي العام تتدخل بمجالات النقاش والموضوعات المثارة. وتعمل على التأثير على الآخرين ودفعهم إلى اتخاذ وجهة معينة، ولهذا تعتبر المناقشات من أقدم الطرق وأكثرها شيوعًا في تقدم الآراء والتعبير عنها وشيوعها بين الناس. ومحادثات الناس ونقاشاتهم صور وأشكال، فقد تكون بالصدفة، وقد تكون محادثات منظمة. وقد تتناول هذه المحادثات أعراض الناس وقد يتحول ذلك إلى حملة همس منظمة إلى معظم أفراد المجتمع، وتعتمد تلك الحملات على الشائعات التي يشيعها المغرضون، ويطرأ عليها أثناء تداولها وتنقلها كثير من التحريف والتضخيم والمبالغة عن قصد أو عن غير قصد. ومهما كان موضوع الحديث فقد يتصل بالناحية الشخصية ويعبر عن الرأي الشخصي ويستميل الأشخاص، وقد يؤثر كل إنسان في محدثيه ويتأثر بهم.[٣٥]

ونظرًا لنمو العقل العربي وازدهاره في العهد الأموي نتيجة الصراع الفكري والسياسي والعقائدي بين الأحزاب السياسية وحرصها على استمالة الأنصار والمؤيدين من جهة، ومناخ حرية الرأي السائد من جهة ثانية. فبرزت وغدت الحوارات والمناظرات

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

كأشكال للاتصال صورًا شائعة بكثرة إلى درجة أن الفقهاء، والأدباء، والشعراء، والدعاة، والساسة كانوا يتناظرون في الأسواق والطرقات، واجتهد كل خصم في البحث عن أدلة تدعم وجهة نظره، والتنقيب عن أدلة خصمه لدحضها، مما أعطى مجالاً واسعًا ومناخًا ملائمًا لترعرع الدعاية.

وقد برع الخوارج في هذا الفن بشكل خاص. فجادلوا الإمام علي كرم الله وجهه وابن عباس (رضي الله عنهم). وروى أن عبد الملك بن مروان أتى برجل منهم فجعل يبسط له من قولهم ويزين له من مذهبهم بلسان طلق وألفاظ بينة ومعان قريبة حتى قال: عبد الملك "كاد يوقع في خاطري أن الجنة خلقت لهم وأنا أولى بالجهاد منهم... ثم رجعت إلى ما ثبت الله على من الحجة وقرر في قلبي من الحق".[٣٦] وهذا واحد من عامتهم فما بالك بزعمائهم ويشيد المبرد في كتابه الكامل بقدرتهم على الجدال واستظهار الأدلة والبراهين.[٣٧] إلا أن مغالاتهم في الجدل أدى إلى انقسامهم إلى فرق عديدة كالازارقة، والنجدية، والصفرية، والإباضية، وقد شكا زيد بن جندب من هذا الاختلاف فقال:

قل للمحلين قد قرت عيونكم
لفرقة القوم والبغضاء والهرب
كنا أناسا على دين ففرقنا
طول الجدال وخلط الجد باللعب
ما كان أغنى رجالاً ضل سعيهم
عن الجدل وأعناهم عن الخطب
إني لأهونكم في الأرض مضطربًا
ما لي سوى فرسي والرمح والنشب[٣٨]

وواجه الأمويون هذه المناقشات بنفس السلاح، فعمر بن عبد العزيز لما ثار الخوارج في عهده لجأ إلى مقارعتهم بالحجة، وقد نجح في إقناع الرسل الذين أرسلهم زعيم الخوارج إليه، ولكن المنية عاجلته ولم يجن ثمار ما تم.[٣٩] وكان الشيعة كالخوارج ينافحون عن عقيدتهم واختلفوا وتجادلوا فيما بينهم، وجادلوا أصحاب الفرق الأخرى، ومن أشهر مجادليهم زيد بن علي بن الحسن مؤسس مذهب الزيدية وقد قرر الكميت[٤٠] بأشعاره الملقبة بالهاشميات نظرية هذا المذهب. وعند قراءة شعره يخيل إليك أنك تقرأ مقالة في المذهب الزيدي تبسط أصوله وتدافع عنه بالحجج والبراهين

خامسًا: القصص

تعد القصص من الوسائل الإعلامية الهامة في حياة الشعوب منذ القديم لأنها تساهم بتأثيرها الوجداني على الإقناع، ولذلك استخدمت للإرشاد والهداية كما هو الحال في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وفي العهد الأموي ظهر القصص السياسي كوسيلة دعائية بارزة، فكانت القصة تروى مناجل مناصرة جهة أو إضعاف الجهة المنافسة، وصار لكل مذهب قصاصه الذين يروجون لعقيدته وأفكاره ونظرياته في الخلافة. وقد أصبحت وظيفة القاص وظيفة رسمية في الدولة. وفي سنة ٧٠هـ ولي قضاء مصر عبد الرحمان بن حجيرة وكان له إلى جانب القضاء القصص، ويذكر أن الخليفة عبد الملك بن مروان عزل أبا إدريس الخولاني عن القصص وأقره على القضاء فقال: "عزلتموني عن رغبتي وتركتموني في رهبتي".[٤١]

وكان القصص يُلقى في المساجد، وفي ميادين القتال، ويتولاه رجال أُعدوا له واختصوا به، ومكانتهم كبيرة في الدولة لأنهم يقومون مقام الوزراء. وقد استخدمت المعارضة أيضًا سلاح القصص للدفاع عن أفكارها واستمالة الأنصار، مع تفوق للأمويين بحكم قدرتهم على اجتذاب القصاص بالأموال والهبات.[٤٢] ويتضح دو القصة في الدعاية آنذاك ويمكن تشبيهها بالصحافة الحزبية في الوقت الحاضر من حيث الأهمية والوظيفة السياسية التي تضطلع بها.

سادسًا: الكتاب

الكتاب وسيلة هامة للتثقيف وتحصيل المعرفة، وأداة مهمة لتكوين أراء المثقفين، والتأثير عليهم باعتبارها الطبقة الرائدة في الرأي العام. ونال هيرودوت لقب "أبو التاريخ" بما كتبه من تاريخ غذى الحضارة الإنسانية، إلا أنه وصف بالصحافي المأجور للدولة الأثينية. ومعنى ذلك أن هيرودوت آمن بما كان سائدًا في عصره من أفكار، وناصرها، ولو لم يكن ذلك دعاية منه للسلطة.[٤٣]

والتاريخ الإسلامي زاخر بالمؤلفات التاريخية والأدبية التي تستشف منها الدعاية بوجهيها التأييد لجهة والإساءة لأخرى، فكتب الحديث مليئة بالأحاديث الموضوعة عمدًا، منها ما يخدم الأمويين، ومنها ما يؤيد العلويين، ومنها ما يناصر الشعوبية، بالإضافة إلى ذلك ألفت كتب للدعاية ككتب الكهانة والتنبؤات والملاحم.

وكما كانت الكتب التاريخية خاصةً سلاحًا لبني أمية فقد استخدمت ضدهم، فقد تحامل عليهم المؤرخون في العصر العباسي نتيجة تعصب العباسيين، والفرس، والموالي، ومحاولة منهم لطمس معالم هذا العصر. والسبب في ذلك أن أغلب الذين أرخوا للعهد الأموي هو تأخر التدوين التاريخي إلى أواخر العصر الأموي، وجل مصادر العهد الأموي مصادر عباسية كتبها مؤلفوها وهم متأثرون بنفوذ العباسيين ودعايتهم وأفكارهم، كما أن جزءًا كبيرًا من آثار الأمويين طمست وشوهت محاولة من العباسيين للقضاء على حضارتهم وتشويه صورتهم لدى الخاصة والأمة.[٤٤]

ويلحق بالكتب المكتبات التي كانت تستغل للترويج لأفكار معينة إضافة إلى مهمتها الأساسية بتوفير العلم لمرتاديها، وكان خلفاء بني أمية يحتفظون بمكتبات في قصورهم. اخرج ابن سعد عن عبد الرزاق قال سمعت معمرًا قال: "كُنا نرى أنا قد أكثرنا على الزهري حتى قُتل الوليد فإذا الدفاتر قد حُملت على الدواب من خزائنه من علم الزهري".[٤٥] ومن الخلفاء الذين أُثر عنهم إنشاء مكتبات خاصة للدعاية المأمون، فقد أنشأ بيت الحكمة للدعاية لأفكار المعتزلة، كما فعل نفس الشيء الحاكم بأمر الله الفاطمي للدعاية للمذهب الفاطمي الإسماعيلي.

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

سابعًا: المؤسسات التعليمية

تعمل المؤسسات التعليمية على نشر العلم كمهمة أساسية، إلا أنها قد تلعب دورًا دعائيًا للتأثير على الأفراد وتكوين اتجاهاتهم من خلال ما تبثه من أفكار وأراء قصد الإقناع، وقد مر بنا من قبل أن التعليم مهما كان موضوعيًا فلابد أن يعبر عن عقيدة الأمة وتوجهاتها الكبرى، فالتعليم يبني الشخصية المتكاملة، وينقل ميراثًا اجتماعيًا وتقليديًا وثقافيًا ليس للأفراد دخل فيه. والدول الشمولية لا تفرق بين التعليم والدعاية، وترى ضرورة تسخير التعليم للدعاية للنظام القائم، ومن هذا المنطلق يصبح المعلم رجل دعاية، ويعلم الفرد كيف يفكر ودخل في ذهنه أفكارًا وأراء محددة سلفًا وجاهزة.[٤٦]

ويذكر التاريخ أن الفاطميين أول مَنْ أسسوا معاهد رسمية للتأهيل المذهبي للدعاية للمذهب الفاطمي، وقد تركزت هذه المؤسسات في القصر الفاطمي، والمساجد، ودار الحكمة.[٤٧] وفي العهد الأموي لم يكن هناك مؤسسات تعليمية رسمية بالمعنى المتعارف عليه الآن، بل كان هناك أدباء مفكرون علماء يمارسون شؤون التعليم في المساجد الكبرى، وانتعشت المذاهب السياسية التي أشرنا إليها آنفًا وانعكست تأثيراتها على العلماء والإتباع باعتبار أن كلا منهم كان تابعًا لتيار معين، فأنتجوا تراثًا يعكس الحالة السياسية لتلك الحقبة، فمدرسة الحديث تأثر رواتها بالسياسة إلى درجة أن الأحاديث التي كانت تنتقص من بني أمية تروى خارج الشام على عكس الأحاديث التي كانت تمجد أو تعنى بشؤون بني أمية فكانت تروى داخل الشام.[٤٨]

كما استُغل التفسير لأغراض سياسية، ولم يسلم الفقه من تبرير لبعض السياسات والرفض لأخرى، بل تدخلت السياسة حتى في المذاهب الفقهية، وكان الخليفة يحمل الأمة على مذهب معين.[٤٩] كما مزجت الاتجاهات الأخرى أفكارها السياسية بالتعاليم الدينية مما أوجد جوًا من المناظرات والمجادلات في شتى فروع المعرفة، مما يعد ثراءً معرفيًا وعلميًا كبيرًا. ومع أن المسجد كان كمجلس للعلماء ومدرسة للمتعلمين يتلقون فيه اللغة العربية وأصول الدين، إلا أنه أيضًا كان بمثابة منتدى فكري سياسي للسياسيين الذين يتداولون الأفكار السياسية، باعتبار أن السياسة يوم ذاك كانت جزءًا من الدين ولم تكن شيئًا خارجًا عنه. ويمكن القول؛ أن التعليم والدعاية اختلطا ببعضهما البعض نتيجة لارتباط الدين بالسياسة، وكان العلماء تحركهم الرغبة الخالصة في الاجتهاد وإيجاد الحلول الملائمة للنوازل الطارئة.

المطلب الثاني: الوسائل الثانوية

بالإضافة إلى هذه الوسائل الأساسية التي ذكرنا أهمها، فقد كانت هناك وسائل أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها ونذكر منها:

أولاً: الرسائل

من أهم الوسائل الدعائية في عهد بنو أمية حيث كانت وسيلة إعلامية تصل الخليفة بعماله في أقاليمهم، وبجنوده في الميدان، كما كانت حلقة وصل بين الخليفة ورعيته، لذلك كان صاحب ديوان الرسائل يحتل مكانة مرموقة بين سائر الدواوين الأخرى.[٥٠] ويبين ما للرسائل من دور إعلامي بارز آنذاك في ظل انعدام الوسائل الأخرى كالجريدة أو الصحيفة اليوم. كما استخدمت الرعية الرسالة وسيلة لبث شكواها وشرح معاناتها للخليفة مما تعانيه من ظلم بعض الولاة. فقد رُوي أن الحجاج قابل الصحابي الجليل انس بن مالك (رضي الله عنه) واسمعه تهديدًا ووعيدًا. فأرسل برسالة شكاه فيها إلى الخليفة عبد الملك بن مروان. جاء فيها: "ولم أكن له منك ومنه أهلاً فخذ لي على يديه وأعني، فإني امتن عليك بخدمتي لرسول الله(ﷺ) وصحبتي إياه والسلام عليك ورحمة الله". فرد عليه الخليفة أما بعد: "فقد قرأت كتابك، وفهمت ما كتبت من شكايتك الحجاج، وما سلطته عليك، ولا أمرته بالإساءة إليك، فإن عاد إلى مثلها فاكتب إلى بذلك".

كما استخدمت الرسائل كوسيلة اتصال بالخصوم والمعارضة للتعبير عن وجهات نظرهم أو للرد عليهم أو محاولة التأثير عهم وتغير آرائهم، ومن الأمثلة على ذلك رسالة معاوية (رضي الله عنه) إلى عبيد الله بن عباس يغريه بالانضمام إليه، بعد أن تمكن من صد هجمات جيش معاوية، فلما كان الليل أرسل معاوية رسالة مع رسول يدعوه فيها إلى الانضمام إليه ويعده ويمنيه، ونجحت خطة معاوية وانظم عبيد الله بن عباس إلى معاوية في الحال وترك قيادة جيشه، وهذا نص الرسالة: "إن الحسن قد راسلني في الصلح ... وهو مسلم الأمر إلى... فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعًا، وإلا دخلت وأنت تابع، ولك إن جئتني الآن أن أعطيك ألف ألف درهم عجل لك في هذا النصف، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر.[٥١]

ثانيًا: الطراز

وهو عبارة عن كتابة زخرفية على القماش تم اتسعت وصارت تستعمل الكتابة على الورق،[٥٢] ثم صارت تطلق على المصنع الذي تصنع فيه هذه المنسوجات.[٥٣] ويعد الطراز من الوسائل الدعائية الهامة في العهد الأموي، فقد استخدمه خلفاء بني أمية لتأكيد سيادتهم وسيطرتهم على مقاليد الأمور. ومن المعروف أنه من أبهة الملك، وفخامة السلطان، ومذاهب الدول، كما يذكر ابن خلدون أن ترسم أسماء الملوك أو علامات تختص بهم في طراز أثوابهم المعدة للباسهم من الحرير أو الديباج أو الإبرسيم، وذلك قصد التنويه بلباسها من السلطان فمن دونه. أو التنويه بمَنْ يختصه السلطان بملبوسه إذا قصد تشريفه بذلك أو ولايته لوظيفة من وظائف دولته.[٥٤]

وكان الطراز أحد شارات الخلافة الثلاث، والتي كان لها دور خطير من الناحية السياسية والاقتصادية والدينية: (الخطبة، والسكة، والطراز). وكان الخلفاء لا يقلدون أعمال دور الطراز إلا للثقات من وزرائهم وموالهم، إذ كان في يدهم خلع الخليفة بمجرد حذف اسمه من شريط الطراز ووضع اسم آخر بدلاً منه.[٥٥] ويتضح مما حظيت به الطراز من مكانة قيمتها في الدعائية السياسية لما لها

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

من القدرة على الانتشار بين قطاعات واسعة من الجماهير داخل الدولة وخارجها، وأينما وصلت تحمل في طياتها اسم الخليفة وتؤكد سيادته، وخاصةً في أماكن المعارضة.

ثالثًا: السكة

هي الختم على النقود بطالع من حديد نقش فيه اسم الخليفة أو السلطان، وهي إحدى شارات الخلافة، ووسيلة من وسائل الدعاية السياسية. فمنذ مقتل عثمان (رضي الله عنه) ظهرت نماذج من النقود على يد المطالبين بالسلطة والثائرين كلٌّ يسعى إلى تأكيد سلطته، وأبرز مثال على ذلك النقود التي ضربها عبد الله بن الزبير في يزد سنة ٦١هـ ونُقش على دائرتها عبد الله بن الزبير أمير المؤمنين.[٥٦]

وبعد استقرار الأوضاع ولتحقيق الاستقلال الاقتصادي للدولة الاسلامية، ورغبةً من الملك في إعادة حق ضرب النقود إلى الخلافة في شخص الخليفة كمظهر من مظاهر السلطان والمركزية.[٥٧] وإرضاءً للشعور الديني والسياسي للشعوب العربية والإسلامية[٥٨] والتي كان أكثر معاملاتهم بالنقود البيزنطية.[٥٩] ولعدم ضبط معيار النقود المستخدمة وظهور تزييفها، وردًا على الإمبراطور الروماني الذي أرسل يهدد بنقش سب النبي (ﷺ) على النقود كرد فعل على تعريب الطراز، انشأ عبد الملك بن مروان دارًا لضرب النقود، وأمر بسحب العملة من جميع أنحاء الدولة، وضرب بدلها عملة جديدة من الذهب والفضة وذلك سنة ٧٧هـ.[٦٠]

وبذلك صار الدينار الإسلامي ذا مسحة عربية بعيدًا عن التأثيرات البيزنطية المسيحية، وكانت توجد على الدينار صورة رجل واقف يحمل بيده سفيًا،[٦١] ومن الجانب الدعائي فالصورة تمثل الإمامة عند المسلمين والسيف رمز للجهاد، واللحية دلالة على الالتزام بتعاليم الإسلام. وكانت هذه هي العملة الوحيدة التي سُمح بتداولها وسحبت كل ما عداها من العملات، فقد مثلت مظهرًا من مظاهر سيادة الدولة في عهد عبد الملك بن مروان، وفي تداولها وانتشارها دعاية للدولة الأموية في يد كل مَنْ يحملها سواء انتسب إلى الأمويين، أو المعارضة، أو الرومان.

رابعًا: الرموز

حتى يجسد المرء الخبرة الإنسانية المعقدة في شيء محسوس، يمكن أن يتذكره بسهولة إذا لجأ إلى الرموز التي ما هي إلا تبسيط للحقائق المجردة. وللرموز علاقة وثيقة بالاتجاهات المرغوبة أو غير المرغوبة، بل هي إحدى مكوناتها، كما أن استخدامها غالبًا ما يثير استجابات عاطفية قوية لدى الجمهور. أي أن القوالب المصبوبة التي نكونها لأنفسنا تزودنا باتجاهات عملية دائمة تدفعنا لاتخاذ إجراءات معينة بالنسبة للأفكار والأشياء والناس.[٦٢] ومن أهم ما يميز الثقافات عن بعضها البعض الاستخدام المجازي للرموز الاجتماعية

وتتعدد أشكال الرموز، فالمنشئات والمنجزات الحضارية تحمل في طياتها نوعًا من الإشادة بمستوى التقدم الحضاري والعلمي الذي جسده، كما أن مشاهدة الأزياء والمناظر يمكن من إحالتها إلى عصور أو أجناس مختلفة.[٦٣] ويدخل ضمن الرموز الدعائية الشعارات والشارات، كالصليب، والمنجل، والمطرقة، والهلال، أو الرمز المجسد للتحية، وكذا الرموز الموسيقية، كالسلام الوطني.[٦٤] وتكمن أهمية الرموز في أنها تصل إلى الغاية القصوى لقدرتها على تكثيف المذاهب والنظم السياسية، وتبسيطها بشكل يساعد على سهولة إدراكها وفهمها، كما أنها تشترك جميعها في أنها تثير جوًا من القوة لا غنى عنه للدعاية وتعطي انطباعًا بالتواجد المستمر يشد أزر المتعاطفين، ويضعف من معنوية الخصوم.[٦٥]

واستخدام الرموز الدعائية في العهد الأموي بدأ على يد معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) عندما عرض قميص عثمان (رضي الله عنه) في مسجد دمشق ملطخًا بدمه، وعرض أصابع زوجته وقد قطعت وهي تحاول أن ترد المعتدين عن زوجها، وذلك إمعانًا منه في إثارة الناس، وتأكيدًا لدعوته للمطالبة بدم عثمان، وتبريرًا لخروجه على الإمام علي كرم الله وجهه.[٦٦]

وفي موقعة صفين وعندما كاد الإمام علي أن ينتصر رفع جند معاوية المصاحف ونادى مناديهم الله الله في العرب الله الله في الإسلام كتاب الله بيننا وبينكم، فانخدع بعض الكبار من أصحاب علي ودعوه إلى الرضا بما يعرض أهل الشام فأبى وبين لهم أنهم كائدون لا مخلصون. وأنهم قد تحايلوا لما أيقنوا الهزيمة لأنهم ليسوا أصحاب دين ولا قران. وبهذا الاستخدام المتقن لهذه الحيلة وجعل القران كرمز نجح معاوية (رضي الله عنه) في تجنب الهزيمة وإيقاع الفرقة بين أتباع علي (رضي الله عنه)، الذين عادوا وكثير منهم قد تحلل من بيعته، ساخطون على التحكيم -مختلفون فيما بينهم- يرددون لا حكم إلا الله، ولذلك قال علي (رضي الله عنه): "لما سمعهم كلمة عادلة يراد بها جور، إنما يقولون لا إمارة ولا بد من إمارة برة أو فاجرة".[٦٧]

ومن الرموز التي استخدمت في العصر الأموي الخاتم والعصا، فقد كانتا شارتا الملك وكان الخليفة يخرج عادةً لصلاة الجمعة مرتديًا ثيابًا بيضاء وعمامة مرصعة بالجواهر، ويلقي الخطبة وبيده الخاتم والعصا باعتبارهما شارتا الملك.[٦٨] ولم ينس الأمويون أهمية المنشئات الحضارية في الدعاية، فقد بالغوا في الإنفاق على بناء المساجد، كما فعل عبد الملك عندما بنى مسجد دمشق، وإظهار عظمة الإسلام بمضاهاة الأبنية البيزنطية في القدس، وتفننه في بناء قبة الصخرة.[٦٩]

وقد استغلت المعارضة أيضًا الرموز في دعايتها فعبد الله بن الزبير، ما أن أعلن نفسه خليفة حتى سارع إلى حمل الدرة مشيرًا بذلك إلى تأسيه بالخليفة العادل عُمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، كما استغل قدسية مكة المكرمة والمسجد الحرام وأطلق على نفسه لقب العائذ كرمز دعائي يستند إلى العاطفة الدينية لاستقطاب الأنصار واستمالتهم، ولا يقل قوة عن رمز الهاشميين الدعوة لرضا من آل محمد.[٧٠] واستخدم العباسيون الرموز للدعاية ففي أول

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

اجتماع لهم استخدموا المشاعل لاستدعاء الناس من أعالي البلاد، وحضرت جموع غفيرة متشحة بالسواد دلالة على خزنها على زعمائها الذين سقطوا في الميدان أو قتلوا غيلة.[٧١]

خامسًا: المسجد

يُعد المسجد من أحس الوسائل الدعائية في التاريخ الإسلامي. وقد اِستُغل أحسن استغلال سواء من طرف الأمويين أو خصومهم، وبرزت وظيفته الدعائية من الدور السياسي الذي اضطلع به المسجد في حياة المسلمين، حيث كان مقر الحكومة وإدارة شؤون الدولة.[٧٢] وكان الخليفة يلقي بعد بيعته من فوق منبره خطبته الأولى التي هي بمثابة بيان سياسي للحكم، وكان المسجد مكان إذاعة أخبار الدولة الهامة والمتعلقة بالمصالح العامة.

وقد أولى الأمويون عناية خاصة بالمساجد، فقد اهتم معاوية (رضي الله عنه) ببناء المساجد في السواحل وتوسيع ما كان قد بُني من قبل منذ أن كان واليًا على الشام في عهد عثمان (رضي الله عنه).[٧٣] وخلال العهد الأموي، صار للمسجد مدلول سياسي، وعُرف المسجد الجامع الذي يؤم فيه الخليفة المصلين أو مَنْ ينوب عنه، وصار مسجد السلطة الرسمي، ومن ثَمَّ وجد به المنبر لإلقاء الخطبة بخلاف المساجد الأخرى. وبذلك دخل المسجد نطاق الصراع السياسي بالدعاء للخليفة في خطبة الجمعة. وكان أول مَنْ دعا على المنبر للخليفة عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في مسجد البصرة قائلاً: "اللهم انصر عليًا على الحق" وتبعه الناس بعد ذلك في الدعاء للخلفاء على المنابر.[٧٤]

وقد بالغ بعض الأمويين في زخرفة المساجد، كما فعل عبد الملك بن مروان في المسجد الأموي بدمشق، حتى اتُهم من معارضيه بالتبذير. وقد روى المؤرخون أن وفدًا من الروم زار مسجد دمشق، ولما مروا بصحن المسجد واستقبلوا القبلة، رفعوا رؤوسهم إلى المسجد، وقد نكس رئيس الوفد رأسه واصفر وجهه فسأله من معه فقال: "إنا معشر أهل روما... تقول: "إن بقاء العرب قليل... فلما رأيت ما بنو علمت أن لهم مدة لابد أن يبلغوها".[٧٥] وهذه الحادثة تؤكد مكانة المسجد كأداة دعائية مؤثرة، وتعكس ما للعمران من تأثير دعائي دعوي جعلت الروم يدركون أن صورة العربي البدوي الجلف قد ولت وأنهم يصارعون أمة متحضرة بلغت شأنًا كبيرًا في ميدان العمران.

ومن الأمثلة التي تبين بوضوح مدى استغلال المسجد كوسيلة دعائية بارزة في عهد بني أمية اهتمام عبد الملك بن مروان ببناء قبة الصخرة، واستنادًا إلى رواية اليعقوبي أن سبب بناء قبة الصخرة كان محاولة من عبد الملك بن مروان لإبقاء أهل الشام في بلادهم، لأن عبد الله بن الزبير كان يأخذ منهم البيعة إذا حجوا إلى بيت الله الحرام، مستغلاً الموسم للنيل من الأمويين. وعندما ضجر الناس وقالوا... تمنعنا من الحج إلى بيت الله الحرام وهو فرض؟ روج عبد الملك بن مروان حديثًا للنبي (ﷺ) على لسان ابن شهاب الزهري مفاده "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد... المسجد الحرام ومسجدي ومسجد بيت المقدس".[٧٦]... وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام.

وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله (ﷺ) وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء تقوم مقام الكعبة.[٧٧] إلا أن بعض المؤرخين يشككون في صحة هذه الرواية بحكم الانتماء الشيعي لليعقوبي وبغضه للأمويين. وقد أكد هذا السبب المؤرخ المقدسي المتوفى سنة ٩٨٥م حينما وضحه أثناء مناقشته مع عمه (البناء) بخصوص العمارة الأموية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وولده الوليد، حيث يقول في ذلك ما نصه على لسان عمه: "ألا ترى أن عبد الملك لما رأى عظم قبة (القيامة) وهيئتها خشي أن تعظم في قلوب المسلمين فنصب على الصخرة قبة على ما ترى".[٧٨] وأيًا كان السبب صرف الحجاج عن الكعبة أو مضاهاة البيزنطيين في أبنيتهم، فإننا نلحظ الجانب الدعائي في هذا العمل المعماري الفذ.

سادسًا: اللواء

لغة: قال ابن منظور في مادة "لوى" أن اللواء والعلم والجمع ألوية وألويات، جمع الجمع قال جمع النواصي ألوياتها، وفي الحديث لواء الحمد بيدي يوم القيامة. اللواء الراية لا يمسكها إلا صاحب الجيش،[٧٩] والألوية كما عرفها الرازي في مختار الصحاح هي: "المطارد وهي دون الأعلام والبنود".[٨٠] وفي الحديث لكل غادر لواء يوم القيامة، أي العلامة يشهر بها في الناس لأن موضوع اللواء شهرة مكان الرئيس. أما "ابن سيده" فقد ذكر بأن الغاية: الراية وقد غييت غاية، عملتها، وأغييتها، نصبتها، والعلم الراية والجمع أعلام، وكذلك العقاب وهي أنثى وقيل هي العلم الضخم،[٨١] إلى أن الأعلام هي الرايات التي خلف وفوق السلطان.[٨٢]

ويحدثنا أبو حيان عن اللواء في قصة الهجرة ولعله أول لواء يرفع في الإسلام، يقول: "لما هاجر رسول الله (ﷺ) ولحق به بريدة بعد أن أسلم قال النبي (ﷺ) لا يدخل المدينة إلا ومعه لواء قال فجعل بريدة عمامته ثم شترها في رمح، ثم مشى بين يديه، ثم دخل المدينة لواء".[٨٣] وظل اللواء ملازمًا لحروب المسلمين مقترنًا في نفوسهم بالجهاد، روى أحمد والترمذي عن ابن عباس (رضي الله عنه) كانت راية رسول الله (ﷺ) سوداء ولواؤه أيضًا. وكان الخلفاء يعقدون الألوية للعمال إذا ولوهم الأمصار وخاصةً في بداية العصر الإسلامي، حيث كان العامل يجمع إلى اختصاصه قيادة الجيش.[٨٤]

وللعلم دلالة سياسية وإعلامية كبيرة، فبقدر المساحة التي يرفرف عليها علم الدولة بقدر ما يكون اتساعها ونفوذها، كما أن كثرة الرايات في بلد واحد دلالة على الانقسام والتمزق. وقد حدث هذا للدولة الأموية في بداية عهد عبد الملك بن مروان. ففي سنة ٦٨هـ أتت عرفات أربعة ألوية: ابن الحنفية في أصحابه في لواء، وابن الزبير في لواء، ونجدة الحروري في لواء، وبني أمية في لواء،[٨٥] مما دل على عدم خضوع الأمة لسلطان واحد. أما استخدام الألوية كوسيلة من وسائل الدعاية في العهد الأموي، فقد برع في ذلك

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

الخوارج والعباسيين الذين جمعوا بين الألوية السوداء التي كانت رمزًا لهم وأسلوب النبوءات لإثارة عواطف الجماهير ضد دولة بني أمية.

ويرجع أسباب اشتهار الألوية السوداء في التاريخ الإسلامي إلى: (الحداد على الشهداء الذين ذهبوا ضحية النظام الأموي، والتشبه بلواء رسول الله (ﷺ). وقد اتفقت جميع المصادر على أنه كان أسودًا، مما يعطي انطباعًا بأن هناك علاقة بين الألوية السوداء ومحاربة الضلالة، ويعني أيضًا اتفاق الخوارج والعباسيين على مواجهة الاستبداد الأموي.[٨٦] ويرى الطبري أن السر الحقيقي في اتخاذ اللواء الأسود يرجع إلى بيت من شعر للكميت جاء في قصيدة وجهها إلى الحارث بن سريج قال فيه: (ألا فارفعوا الرايات سودًا... على أهل الضلالة والتعدي). وعندما دخلت الحركة العباسية مرحلة المقاومة المسلحة أخذت الرايات السود التي أطلق عليها السحاب والظل تنتقل من مَصر إلى مَصر.[٨٧] ومما يؤكد تأثير الرايات السوداء وما تعلق بها من نبوءات على نفوس الجماهير، ما ذكره ابن العمراني: أنه في يوم الزاب لما التقى عبد الله بن علي ومروان بن محمد، نظر مروان إلى الرايات التي سيسلمونها إلى عيسى بن مريم.[٨٨] ونلاحظ؛ أن المسلمين بطوائفهم المختلفة قد سبقوا هتلر في استخدام الألوية والرايات والأعلام كوسائل دعائية للتأثير على الجماهير بإثارة عواطفهم وتهيجها وخاصةً في ساحات القتال، وقد يكون هتلر استوحى فكرة الأعلام والرايات من التاريخ الإسلامي.

المبحث الثالث: أساليب الدعاية في العهد الأموي

ترتبط الأساليب الدعائية بالأهداف المتوخاة فكل هدف لابد له من أسلوب يناسبه لتحقيقه. وإذا كان هدف الأمويين المحافظة على السلطة من خلال كسب أنصار جدد، والإشادة بالإنجازات الأموية، وتدعيم الثقة بهم، ونشر الثقافة والمعرفة، فإن هدف المعارضة هو الوصول إلى السلطة ومن ثَمَّ الإطاحة بالأمويين، ولتحقيق هذه الأهداف المتباينة بين المعارضة والسلطة، استخدم كل فريق الأساليب الدعائية المتاحة خلال ذلك العصر، وتفننوا في ابتكار العديد من الأساليب التي تمنحهم فضل السبق في ممارسة الدعاية. ويمكن الإشارة إلى أهم أساليب الدعاية في العهد الأموي من خلال تقسيمها إلى قسمين: ونتناولها في المطلبين التاليين: (لأساليب الرئيسة - الأساليب الثانوية).

المطلب الأول: الأساليب الرئيسة

إن دراسة تاريخ العصر الأموي يكشف عن كم هائل من الأساليب الدعائية تتركز في معظمها على النفوذ إلى العقل الباطن والتأثير اللاوعي على اهتمامات المتلقي ورغباته، ثم توجيهها وفق مصالح النخبة. ويمكن تلخيص أكثر الأساليب الدعائية شيوعًا لدعاية العهد الأموي فيما يلي:

أولاً: إحياء العصبية

التعصب اتجاه نفسي انفعالي أو حكم مسبق تجاه جماعة، أو شخص، أو موضوع دون الاستناد إلى منطق أو معرفة كافية أو حقيقة علمية.[٨٩] ويجعل التعصب الإنسان لا يرى الأشياء إلا بمنظاره، ولذلك يشوه إدراك الفرد أو الجماعة. بهذا يعتبر التعصب مشكلة حيوية في التفاعل الاجتماعي وحاجزًا يصد كل فكر جديد ويعزل أصحابه عن الجماعات الأخرى ويبعدهم عنها.[٩٠] والسمة البارزة التي اتسمت بها الدعاية في العصر الأموي هي خلق مناخ يؤدي إلى العصبية، ثم محاولة استثمار تلك العصبية لتحقيق أهداف سياسية. مع أن الإسلام هذب هذه العصبية وجعل نصيب القبيلة من الولاء أن ينتمي إليها أبنها في النسب وأن يتعاون مع أفرادها لتحقيق العدالة ونشر الخير بين أبناء الأمة.[٩١]

وإذا كان الإسلام قد عدل هذه العصبية دون إلغائها، فإن الدعاية الأموية أثارتها من جديد، وأعطتها أبعادًا وأشكالاً جديدة اعتقادًا منها بأهمية الدور الذي تؤديه في المحافظة على سلطانها وتفوذها. ويعتبر شعر النقائض من أبرز الوسائل الدعائية التي استخدمها الأمويون لإذكاء روح العصبية القبلية لصرف الناس عن التفكير في السياسة والحكم.[٩٢] وبلغ من خطورة العصبية القبلية وآثارها أن ترتب عليها الوليد بن يزيد. ويروي المؤرخون أن أحد عمال الخليفة الوليد بن يزيد قتل خالد القسري، وكان من اليمنية والوليد من المضرية. وكانت العصبية بين القبيلتين على أشدها. فلما علم الوليد بمقتل خالد سر وتيقظت في نفسه العصبية المضرية وأظهر التشفي والشماتة. وقال شعرًا:

شددنا ملكنا ببني نزار	وقومنا منهم من كان مالاً
وهذا خالد اضحى قتيلاً	إلا منعوه أن كانوا رجالاً
ولكن المذلة ضعضعتهم	فلم يجدوا لذلتهم مقالاً

وحركت هذه الأبيات سواكن اليمانيين واتجهوا في جموع إلى المضريين واقتتلوا قتالاً عنيفًا، حاقت فيه الهزيمة بالمضريين وتحصن الوليد بقصره ولكنهم تسلقوا إليه وقتلوه.[٩٣] وأدى تعصب الأمويين للعرب إلى معاداة الشعوب الاسلامية غير العربية لهم، مما مهد لظهور الحركة الشعوبية كتيار مواجه للعرب. تبلور بسبب سوء معاملة الأمويين لغير العرب من المسلمين، مما أذكى روح السخط والشعور بالإحباط لديهم. فأصبحوا وقودًا لعدة ثورات على الأمويين، فقاتلوا مع الخوارج واشتركوا في فتنة ابن الأشعث كما ثاروا مع يزيد بن المهلب للقضاء على الأمويين، وأخيرًا انضموا إلى الدعوة العباسية لينالوا حقوقهم المهضومة.[٩٤]

ثانيًا: أسلوب التقديس والتبخيس

في ظل الصراع وفي أجواء النزاع تلجأ كل فئة إلى أسلوب التقديس لزعمائها وقادة الفكر فيها ورجالها والتبخيس لمعارضيها، لأن الرفع من منزلة القادة والزعماء هو حط من شأن المعارضين، وكذا الحط من قيمة المعارضين هو رفع من شأن الأتباع. قال حازم

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

القرطاجي: "مثول الحسن إزاء القبيح، والقبيح إزاءَ الحسن مما يزيد غبطة بالواحد وتخليًا عن الآخر؛ لتبين حال الضد بالمثول إزاء ضده، فلذلك كان موقع المتقابلات من النفس عجيبًا". وقد قيل قديمًا والحسن يظهر حسنه الضد، وبضدها تتميز الأشياء.[٩٥]

وفي خضم الصراع يجتهد كل طرف في نعت أصحابه وأتباعه بأحسن النعوت، ومخالفيه ومعارضيه بأشنع وأقبح النعوت، كما قال ابن قيم الجوزية: "وأهل كل نحلة ومقالة يكسون نحلتهم ومقالتهم أحسن ما يقدرون عليه من الألفاظ، ومقالة مخالفيهم أقبح وأشنع ما يقدرون عليه من الألفاظ. ومن رزقه الله بصيرة فهو يكشف به حقيقة ما تحت تلك الألفاظ من الحق والباطل ولا تغتر باللفظ. كما قيل:

تقول هذا جنى النحل تمدحه
وإن تشأ قلت ذا قيء الزنابير
مدحًا وذمًا وما جاوزت وصفهما
والحق قد يعتريه سوء تعبير

فإذا أردت الاطلاع على كنه المعنى فجرده من لباس العبارة، وجرِّد قلبك عن النفرة والميل، ثم اعط النظر حقه، ناظرًا بعين الإنصاف. ولا تكن ممَنْ ينظر في مقالة أصحابه فيحسن الظن بهم ومقالة مخالفيه فيسيء الظن بهم، فإن الناظر بعين العداوة يرى المحاسن مساوئ.[٩٦] وتلجأ الدعاية إلى الإعلاء من شأن القادة والزعماء، وأنهم أقدر من غيرهم على التفكير البناء وسياسة الناس، وأعرفهم بمصالح العباد، وأن على الآخرين الانصياع والطاعة. وتكرار التأكيد على علو المنزلة ورفعة المكانة كقاعدة عامة ينبثق من شك لم يتبينوه تبينًا تامًا في أن الآخرين في الواقع أفضل تأهيلاً وخاصةً في نفس تلك المجالات التي يريدون تأكيد الزعم بالتفوق فيها.[٩٧] وسنتناول طرفي هذا الأسلوب في النقطتين التاليتين:

١- تضخيم القادة والزعماء:

وتضخيم الزعماء واضح في العهد الأموي ومن أشكال هذا العمل الدعائي تلفيق الأحاديث في فضل بني أمية والأقوال المأثورة والشعر. من ذلك ما قاله الشعبي في عبد الملك بن مروان. ما جالست أحدًا إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك فإني ما ذاكرته حديثًا إلا زادني فيه ولا شعرًا إلا زادني فيه ومن ذلك قول جرير في الوليد:

إن الوليد هو الإمام المصطفى
بالنصر فاز لواؤه والمغنم
ورث الأعنة والأسنة وانتمى

واستعارت الدعاية الأموية فكرة الشيعة عن المهدي المنتظر وألصقتها بخلفاء بني أمية، يقول جرير في هشام بن عبد الملك:

إلى المهدي تفزع أن فزعنا
وتستسقى بغرته الغماما
وحبل الله تعصمكم قواه
فلا تخش لعروته انفصاما
رضينا بالخليفة حيث كنا
له تبعا وكان لنا إماما[٩٨]

ومما استعملته الدعاية الأموية لتضخيم زعمائها التركيز على بعض الأحاديث والنبوات التي وردت في معاوية وأضافوا إليها بعض الإضافات التي تخدم أغراضهم الدعائية، فقد وردت أحاديث كثيرة في فضل معاوية، من ذلك أن النبي (ﷺ) قال لمعاوية: "اللهم اجعله هاديًا مهديًا وأهد به".[٩٩] ومنها قوله أيضًا: "اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب".[١٠٠] وقال معاوية ما زلت اطمع في الخلافة منذ قال رسول الله (ﷺ) "يا معاوية اذا ملكت فاحسن".[١٠١]

أما النبوات، فمنها ما رواه كعب الأحبار "لن يملك هذه الأمة ما ملك معاوية"،[١٠٢] قال الذهبي: توفي كعب قبل أن يستحلف معاوية (رضي الله عنه) وصدق كعب فيما نقله. فإن معاوية بقي خليفة عشرين سنة لا ينازعه أحد الأمر بخلاف غيره ممَنْ جاء بعده، فإنه كان لهم مخالف وخرج عن أمرهم بعض الممالك.[١٠٣]

وقامت الأحزاب الأخرى بدعاية مشابهة، فالشيعة طغى عليها طابع التفخيم والتعظيم والمبالغة في الاحترام لـ آل البيت إلى حد التجاوز الذي يتنافى وروح الإسلام ومبادئه، ومن ذلك قول عبد الله بن سبأ لأمير المؤمنين علي أنت الإله حقًا فاحرق من أتباعه خلقًا كثيرًا، أما هو فقد استشار فيه عبد الله بن عباس فأشار عليه بعدم إحراقه مخافة توسع الفتنة وانتشارها. كما بالغ بعض فرقهم في حب آل البيت إلى درجة أنهم اعتبروا أن الحكمة التي أفاضها الله على رسوله (ﷺ) لم تزل بموته وإنما ورثها عنه أعقابه. ولذلك عزوا إليهم علمًا لدنيا واعتقدوا بعصمتهم.[١٠٤] ولعل قراءة متأنية لدواوين شعراء الشيعة تكشف عن استعمال الشيعة على الخصوص لأسلوب التعظيم والتفخيم. بل أن الواقع الذي نعيشه لخير دليل على ما نقول.

أما الخوارج، فقد تركزت دعايتهم على أعضاء حزبهم عامة دون أفراد بعينهم، وكانوا يعظمونهم بطاعتهم لله وتقواهم وكثرة الصلاة والتعبد قال الطرماح:

لله در الشراة أنهم
إذا الكرى مال بالطلا ارقوا
يرجعون بالحنين آونة
في بيوت مكلمة رفيعة السمك
خوفًا تبيت القلوب واجفة
نكاد عنها الصدور تنغلق[١٠٥]

وهكذا؛ يتضح مدى حرص الدعاية في العهد الأموي على رسم صورة الزعماء والقادة في نفوس الجماهير بكيفية تضفي على هؤلاء الزعماء الخشية والرهبة في نفوس الأتباع سالكة إلى ذلك كل

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

المسالك الاتصالية مستغلة كل القنوات الإعلامية المتاحة في ذلك العصر.

٢- تجريح الخصوم:

وبقدر ما تحرص الدعاية على إعلاء شان أصحابها تعمل على تجريح الخصوم والمعارضين ونعتهم بأقبح النعوت، ومن ثَمَّ لجات الدعاية في العهد الأموي إلى الانتقاص من الخصوم، وخاصةً الشخصيات القيادية التي ارتبطت بها التيارات السياسية والفكرية آنذاك للحد من تأثيرها على الأتباع. وأسلوب التجريح من الأساليب الدعائية المغرضة التي لا تلجأ إليها الدعاية إلا إذا غلب عليها الطابع العاطفي، ويحركها الحقد والبغض ضد من تتناولهم الدعاية.

وقد استخدمت الاتجاهات المتصارعة في العهد الأموي هذا الأسلوب على نطاق واسع. فالأمويون ما أن استتب لهم الأمر حتى اصدروا أمرًا بسب علي (رضي الله عنه) على منابر الأمصار، ولم يتوقفوا عن ذلك إلا بعد مجيء عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه)[١٠٦] الذي جعل بدلاً منها قوله تعالى:(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).[١٠٧] ولا شك أن هذا الانتقاص المبالغ فيه من الإمام علي (كرم الله وجهه) لم يزد إلا تأجيجًا لأتباعه للرد ذلك بأساليب أبشع واقذر، فقد عقد الشيعة من جهتهم الاجتماعات لسب معاوية (رضي الله عنه) كما حصل مع حجر بن عدي وأصحابه الذين قبض عليهم زياد بن أبيه، وأرسل بهم إلى معاوية (رضي الله عنه) فقتل حجرا وسبعة من أصحابه، وعفى عن مجموعة أخرى بعد أن تبرأوا من الإمام علي (كرم الله وجهه).[١٠٨]

كما وجهت الدعاية الأموية سهامها للأنصار واتهمتهم بأنهم كاليهود، أهل زرع وفلاحة، وليسوا أهل مجد ولا مكارم، وأنهم جبناء،[١٠٩] يقول الأخطل شاعرهم في ذلك:

لعن الإله من اليهود عصابة
بالجزع بين صليصل وصرار
قوم إذا هدر العصير رايتهم
حمرا عيونهم من المسطار
خلوا المكارم لستم من أهلها
وخذوا مساحيكم بني النجار
إن الفوارس يعلمون ظهوركم
أولاد كل مقبح أكار
ذهبت قريش بالمكارم كلها
واللؤم تحت عمائم الأنصار

وقد استخدم الأمويون أسلوب تجاهل الخصم، يروي صاحب الأغاني أن هشام عبد الملك كان يطوف بالبيت فأراد أن يستلم الحجر فلم يستطع فنصب له منبر جلس عليه، وبينما هو كذلك أقبل "علي بن الحسين" فطاف فتنحى له الناس هيبة إجلالاً، فغاظ ذلك هشام فقال رجل من أهل الشام مَنْ هذا الذي أكرمه الناس وعظموه؟ فقال هشام لا أعرفه لئلا يعظم في نفوس أهل الشام. فقال الفرزدق وكان حاضرًا:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا النقي التقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها
إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
وليس قولك من هذا بضائره
العرب تعرف من أنكرت والعجم[١١٠]

وقد استخدم المعارضون أسلوب التجريح في دعايتهم المضادة لبني أمية، ووجدوا في حياة البذخ والترف التي عاشها بعض خلفاء بني أمية مادة دسمة لدعايتهم، فاتهموهم بالفسوق والمجون وعدم الحرص على مصالح المسلمين وايقاظ الفتن. قال شاعرهم:

قل لبني أمية حيث حلوا
وإن خفت المهند والقطبعا
ألا أف لدهر كانت فيه
هدانا طائعا لكم مطيعا
أجاع الله من أشبعتموه
واشبع من بجوركم أجيعا
ولعن فذ امته جهارا
إذا ساس البرية والخليعا[١١١]

ومما روى المسعودي، أن ابن الزبير امتنع عن بيعة يزيد وكان يسميه السكير وأخرج عامله عن مكة، وكتب إلى أهل المدينة ينتقصه ويذكر فسوقه ويدعوهم إلى مناصرته على حربه وإخراج عامله عنهم.[١١٢] ومن ذلك أيضًا؛ أن عبد الملك أسمته دعاية المعارضة بأبي ليلى كناية على عجزه على القيام بالأمر، وكانت العرب تفعل ذلك بالعاجز. وفيه قال الشاعر:

إني أرى فتنة تغلي مراجلها
والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا[١١٣]

وفي إشارة إلى بخل عبد الملك بن مروان سمته الدعاية المضادة بـ "رشح الحجر" وهي نفس الصفة التي نعت بها هو ابن الزبير.[١١٤]

ومن خلال هذه النماذج التاريخية وغيرها كثير في كتب التاريخ، يتبين لنا مدى توسع الدعاية في هذا العصر في استخدام هذا الأسلوب، ولم تتورع في سبيل تحقيق أهدافها عن الصاق ابشع التهم بالخصوم، غير مبالية بما ينجم عنها من أثار مدمرة، وغير مراعية لأحكام الشرع وآداب الإسلام.

ثالثًا: أسلوب ادعاء الإجماع

تعمل الدعاية على استخدام الغريزة الاجتماعية لدى الإنسان، فأغلب الناس ينفرون من العزلة الاجتماعية والفكرية، وتخشى

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

فقدان حب ومساندة الآخرين، لهذا يميل الإنسان للسير خلف القطيع أو تقليد الآخرين، فإذا تحدث رجل الدعاية كممثل للجمهور معتبرًا نفسه واحدًا منهم زاد تأثيره عليهم.[١١٥] وتعمل الدعاية على تعزيز الإجماع القائم أو خلق هذا الإجماع، وتستخدم لذلك وسائل كثيرة كالمظاهرات، والاستقبالات، والمواكب الاستعراضية، والاجتماعات الكبيرة، والأعلام والرايات، والسفارات والزي الموحد، وكل ذلك لإثارة مشاعر الإجماع وإشاعة جو القوة في الجماهير. وتعتبر القدوة أفضل الوسائل لإشاعة الإجماع وإيجاده، فليس هناك أعظم من قوة هالة صاحب الرسالة، وإيمان الرجل الغيور، ومكانة البطل. وعلى مر التاريخ كان أغلبية الذين يدينون بمذهب يعود الفضل في انقيادهم إلى القدوة الحسنة أو بمعنى آخر عدوى المثل الحي، فبفضل الاتصال والجذب الشخصي تنتشر المعتقدات السياسية الكبرى.[١١٦]

وقد استغلت الدعاية خلال العهد الأموي هذا الأسلوب، ونجحت في استخدامه، بل ابتكرت أشكالاً تساعد على تحقيق الاستفادة منه، ومن ذلك نظام الوفود الذي أشرنا إليه سابقًا. كما استحدث معاوية (رضي الله عنه) ما سُمي بنظام أهل الجماعة، وقد استثمره في أخذ البيعة لنفسه، وقد استمده من اجتماع الصحابة في سقيفة بني ساعدة لعد وفاة الرسول (ﷺ). وكان الغرض من ذلك إضفاء الشرعية على بني أمية حتى يتسنى لهم الاستلاء على الخلافة والإبقاء عليها في أهل بيته. وحرص معاوية (رضي الله عنه) على إشاعة الشعور بالإجماع لدى المسلمين حتى سمى العام الذي تنازل له فه الحسن بن علي (رضي الله عنه) عن الخلافة بعام الجماعة، كما اطلق عبدالملك نفس التسمية على السنة التي اجتمعت له السيطرة على الدولة الإسلامية كافة وهي سنة ٧٧هـ.[١١٧]

وقدساهم شعراء الدعاية في تدعيم اجتماع كلمة المسلمين على بني أمية والطاعة والولاء لهم وقد قال عدي بن الرقاع في الوليد:

والمستمر به أمر الجميع فما
يغتره بعد توكيد له غررا

كما أعلن شعراء المعارضة ولائهم لقادتهم قال السيد الحميري:

ثم الولاء الذي أرجو النجاة به
يوم القيامة للهادي أبي الحسن[١١٨]

ويعتبر الأمويون أكثر فهمًا من الأحزاب الأخرى لأسلوب ادعاء الإجماع ووظفوه أحسن توظيف لإضفاء الشرعية على حكمهم. وإدراكًا لأهمية النخبة في إشاعة هذا الإجماع بين الناس بحكم مالهم من تأثير عليهم، لذلك لم يقصروا في سبيل استخدامه وإن تطلب الأمر اللجوء إلى القوة في بعض الأحيان للإيحاء بالإجماع كما حصل في أخذ البيعة ليزيد.

رابعًا: أسلوب الأعمال الرمزية

يلعب العمل الرمزي مهما قل حجمه وتضاءل مردوده تأثيرًا لا يقل، وقد يفوق تأثير الكلمات في الإقناع، وخاصةً في الأوقات التي يكون فيها العمل أبلغ من الكلام. وتاريخ الدعاية يكشف أنه لا يمكن الفصل في العمل الدعائي بين الكلمة والفعل فهما وجهان لعملة واحدة، والاقتصار على أحدهما دون الآخر يضعف الدعاية ويفشلها.

وقد شهد العهد الأموي صورًا من الدعاية العملية الرمزية، وقد استخدمتها جميع الاتجاهات المتصارعة. فعبد الله بن الزبير ورغبة منه في اجتذاب الحجازيين لم يجد أفضل من بناء الكعبة كعمل دعائي رمزي يتقرب به إلى قلوب الناس ويستميلهم إليه. ولذلك سعى الأمويون إلى محو كل أثر له على الكعبة. وما الإنجازات العديدة التي انجزها الأمويون كتعريب الدواوين والنقود والطراز وبناء المساجد والمنشئات العامة والحرص على استمرار الفتوحات، إلا أعمال دعائية رمزية تعكس قوة الدولة وهيبتها في الداخل والخارج، من وجهة نظر الدعاية. كما أن تلك الإنجازات محل نقد وانتقاص من طرف المعارضة للتقليل من شأنها وشأن القائمين بها من وجهة نظر الدعاية المضادة.

ومن الأعمال الرمزية ذات الدلالة الدعائية على قوة الدولة الأموية وسلطانها في أمام خصومها ف الداخل وأعدائها في الخارج نظام الصوائف والشواتي وهو عبارة عن غزوتين دائمتين سنويًا إلى بلاد الروم صيفا وشتاء وكان هدفهما الحفاظ على الأراضي التي فتحها المسلمون، وتشتيت جهود الروم واستنزاف قواهم ،والاستيلاء على أراض جديدة.[١١٩] ونظام الصوائف والشواتي لا يعدوان يكون دعاية لإرهاب الأعداء في الخارج والخصوم في الداخل والتأكيد على قوة الدولة وقدرتها على مواجهتهم متى أرادت.

خامسًا: أسلوب فرق تسد

إن التماسك الاجتماعي والترابط الشعبي للجهة المعارضة يشكل مشكلة جوهرية للدعاية، ومن ثَمَّ يحرص القائمون على الدعاية على عدم مواجهة الخصوم أو الأعداء مجتمعين. فتعمل على إيجاد ثغرات يمكن أن تتسلل من خلالها إلى الجهة المعادية، وتستخدم في ذلك وسائل عديدة كالدس والوقيعة بين أفراد الجماعة الواحدة، والإشاعات وتحويل الانتباه والاستمالة بالترغيب والترهيب، لتصل في نهاية المطاف إلى زعزعة التماسك الاجتماعي للجهة المستهدَفة، وقد يتم ذلك من خلال المخبرين الدبن تبثهم وسط الجهات المستهدَفة، وبذلك تتحول الجماعات إلى فئات متصارعة فيما بينها. كما حدث أثناء الفتنة الكبرى وما أعقبها من أحداث وانقسامات في المجتمع الإسلامي كانت شرارتها الأولى من تدبير عبد الله بن سبأ، الذي استثمر الأحداث لتفتيت وحدة المسلمين وتمزيق شملهم كم تبين ذلك كتب التاريخ.[١٢٠]

ولما وصل الأمر إلى بني أمية بالغوا في إذكاء العصبيات والقبليات وساهموا في ظهور الحركة الشعوبية لتحويل المجتمع الإسلامي إلى جماعات متناحرة تنشغل بخلافاتها عن المطالبة بالخلافة، وتاريخ الفترة الأموية حافل بالأمثلة الدالة على ذلك. دخل الحسين بن علي (رضي الله عنهما) على معاوية (رضي الله عنه) وكان في حضرته عبد

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

الله بن الزبير فرحب معاوية بالحسين وأجلسه معه على سريره، ثم أشار له على ابن الزبير وقال: ترى هذا القاعد؟ أنه ليدركه الحسد لبني عبد مناف. فقال ابن الزبير لمعاوية. قد عرفنا فضل الحسين وقرابته من رسول الله (ﷺ). ولكن إن شئت أعلمتك فضل الزبير على أبيك.[١٢١]

وقد سبق ابن الزبير معاوية في أسلوب الوقيعة حيث كان يرى في عهد على (رضي الله عنه) أحقيته في الخلافة ولتحقيق غرضه أوقع بين علي ومعاوية (رضي الله عنهما)، وعرف على بذلك فخاطب أباه الزبير (رضي الله عنه) في شانه وقال: "لقد كنا نعدك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرق بيننا".[١٢٢] وفعل ذلك مروان بن الحكم لما سار إلى طلحة والزبير قبيل معركة صفين، وقال لهما على إيكما أسلم بالإمارة وأذن بالصلاة فأرسلت عائشة (رضي الله عنها) رسولاً يقول له فليصل بالناس ابن أختي: تريد عبد الله بن الزبير.[١٢٣]

كما أشعل المغيرة بن شعبة والي العراق الفتنة بين الشيعة والخوارج لمنح فرصة لمعاوية (رضي الله عنه) هدنة يستغلها في تثبيت ملكه. وقد ابطل زياد العادة العربية القديمة أن تؤلف كل قبيلة وحدة عسكرية خاصة بها، وجعل جند البصرة أقسام أربعة يضم كل قسم قبائل متفرقة ثم ولى على قسم قائدًا مواليًا لبني أمية.[١٢٤]

ولا يخفى علينا ما لهذا الأسلوب الدعائي من تأثير في تمزيق الصف، وتشتيت الجماعة، وتفريق الأحباب، وتنفير الأصحاب، ولذلك ركز عليه أعداؤنا قديمًا وحديثًا، وما التفرقة الطائفية، والعرقية، والدينية، والقبلية، والإسلام المعتدل، والمتشدد، والمتساهل، إلا صور وأشكال من هذا الأسلوب الخطير في ميدان الدعاية.

سادسًا: الأسلوب السري

في كثير من الأحيان يعجز رجل الدعاية عن الإفصاح عن رسالته الدعائية بسبب الخوف من السلطة أو الجمهور المستقبل للرسالة لإعلامية، خاصةً إذا تعارض مضمون الدعاية مع قيمه وأفكاره، فيعتمد رجل الدعاية على أسلوب السرية لنشر أفكار معينة أو تحقيق أهداف يصعب تحقيقها مباشرة. ويعرف "لملي" الدعاية بأنها: "ترويج مستتر أو خفي لرسائل تخفى على الجمهور المستهدف مصدرها وأفكارها والأساليب التي تستخدمها والمضمون الذي تروج له والنتائج المترتبة عليها. ويصبح السلوك أو النشاط دعاية إذا تم إخفاء عامل أو عاملين من هذه العوامل الخمسة.[١٢٥] وتختار الدعاية بين الأسلوبين العلني والسري. فالدعاية المكشوفة تستخدم حينما تساعد على تعلم الاتجاه الجديد أو عندما يكون الإخفاء غير ممكن لأسباب عملية. أما الدعاية السرية فيلجأ إليها عند الرغبة في إقناع الجمهور بالكذب والافتراءات المزيفة على أنها حقيقة.

وفي التاريخ الإسلامي تمثل أسلوب العملاء السريين في الحركات السرية التي استهدفت التأثير على عقول الناس قصد تحويل معتقداتهم إلى معتقدات جديدة. ففي مبادئ الازادمردية،[١٢٦] وهم شيعة نجد مخططًا ثوريًا يستهدف هدم وسحق جميع مبادئ الإسلام عن طريق تزييف الأحاديث ونشر مبادئ الإلحاد والإباحية بين العامة. واستعمل عبدالله بن ميمون القداح مذهب الثنوية.[١٢٧] أما دعاته فكانوا يظهرون في أثواب مختلفة ويحدثون كل طبقة باللغة التي تروقها، وأخذوا يسيطرون على الجميع بأعمال الشعوذة ويثيرون شغف الناس بالألغاز والأحاجي، ويتسترون أمام المؤمنين بقناع الزهد والفضيلة. وقد أدت هذه الوسائل التي كانت تهدف إلى السيطرة على أذهان الناس إلى أنهم استغلوا أسوأ استغلال في تحقيق غاية لا يعلمها سوى قليل من الدعاة.

ظهرت الحركة الإسماعيلية وأثرت على عقول البشر بطريقة الحشاشين،[١٢٨] وقد حشدت البسطاء والدهماء من العامة باسم الدين لتحقيق أعراض سياسية. واتخذت الاغتيال المنظم أسلوبًا في محاربة خصومها، ومنظم هذه الحركة وواضع برنامجها هو الحسن بن علي المعروف بالصباح.[١٢٩] ومن الأمثلة التي تجسد الأسلوب السري في الدعاية في العهد الأموي أسلوب العباسيين بعد مقتل الحسين، والذي يرجع إليه الفضل في قيام الدولة العباسية. ومن حسن ساستهم أنهم لم يكشفوا أهدافهم وادعوا أنهم يريدون القضاء على الدولة الأموية ولم يظهر منهم ما يشعر أنهم يطلبون الخلافة لأنفسهم. فلم تكن البيعة تؤخذ باسم العباسيين بل كانت تؤخذ لشخص معين من آل البيت رمز إليه بالرضا من آل محمد.[١٣٠]

وقد بزغت هذه الدعوة في الكوفة ثم انتقلت إلى خراسان، حيث الوالي من الفرس الذين آثارهم تعصب الدولة الأموية للعرب وكرهها للموالي، فتواصوا فيما بينهم على قلب نظام الحكم العربي. وكان أكثر الموالي من الشيعة الذين عرفوا بحب آل البيت. وكانوا وهم يدعون للرضا من آل البيت يعتقدون أنهم أبناء علي. وأما العباسيون فيعنون بآل البيت أبناء العباس عم النبي (ﷺ). وبقي كل فريق يضمر في نفسه ما يعنيه. وسارت الدعوة في طريقها السري حتى نهاية المطاف، وعندها أظهر العباسيون أنهم كانوا يعنون أنفسهم بآل البيت.[١٣١]

وهكذا؛ استطاعت الدعاية العباسية عن طريق إخفاء خطتها وعدم الإفصاح عن غايتها الحقيقية الاستفادة من جهد الدعاة السريين الذين كان لهم الدور الأكبر في إقامة دولة بني العباس وإسقاط دولة بني أمية.

المطلب الثاني: الأساليب الثانوية

بالإضافة إلى الأساليب الأساسية السالفة الذكر، فقد لجأت الاتجاهات السياسية المتصارعة في العهد الأموي إلى أساليب ثانوية أو عوامل مساعدة على تنفيذ سياساتها الدعائية، ويمكن إبراز هذه الأساليب الثانوية فيما يلي:

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

أولاً: أسلوب جس النبض

قد يحتاج رجل الدعاية إلى معرفة موقف الجمهور من موضوع ما ومدى تجاوبه قبل الإقدام عليه، فيعمد إلى نشر أفكار حول الموضوع ويتربص فترة كافية لحدوث الاستجابة، ثم يستطلع اتجاهات الرأي العام وعلى ضوئها يتخذ القرار. وتبرز أهمية هذا الأسلوب في اللحظات الحرجة، والأوقات الصعبة وعندما تريد القيادة إحداث تغيرات جوهرية في النظام الاجتماعي. ولذلك يندر استخدام هذا الأسلوب في العهد الأموي. وسنورد مثالين يعكسان فهم وتطبيق هذا الأسلوب.

المثال الأول: يتصل بولاية العهد ليزيد بن معاوية وهي فكرة كنت غريبة على المسلمين لأنها تعني التحول من عن الخلافة إلى الملك. ولذلك بذل معاوية (رضي الله عنه) جهدًا كبيرًا على مدى سنوات عدة يمهد لهذه الفكرة، واستخدم أساليب عديدة لذلك منها أسلوب جس النبض للوقوف على اتجاهات الزعماء والقادة وكيف سيكون رد فعلهم؟ حتى يعد العدة لذلك. فبدأ بالكوفة، حيث تعهد له عامله "المغيرة بن شعبة" بتهيئة الأذهان لذلك وتحبيبهم في هذا الأمر. أما زياد عامله في البصرة فنصحه أن يتريث في هذا الأمر لعدم توافر شروط الخلافة في يزيد، وقال يزيد صاحب تهاون مع ما قد أولع به من الصيد. فقبل معاوية رأي زياد.[١٣٢] ولتغيير وجهة نظر الناس إلى يزيد، عَمد معاوية إلى تأميره على الجيش الذي جهز لفتح القسطنطينية، وإذا كان المسلمون لم يفتحوا القسطنطينية لمتانة أسوارها، فإن معاوية حقق هدفه حيث أتاحت المعركة احتكاك يزيد بكبار الصحابة الذين شاركوا في تلك المعركة، والتعرف عليهم عن قرب ومعرفة خصومه ومناوئيه.[١٣٣]

ومن خلال هذه الأحداث؛ يتضح لنا أسلوب معاوية (رضي الله عنه) في معالجة مشكلة ولاية العهد، وكيف كانت ردود أفعاله في كل مرحلة متوقفة على نتائج سبر أراء قادة الرأي العام، مستعملاً أسلوب جس النبض الذي كان مولعًا به، ولذلك لم يفاجئ المسلمين بهذا التحول الكبير وتدرج معهم حتى استقامت له الأمور باستثناء قلة قليلة أبت الرضوخ، فسلك معهم أسلوب القوة والحيلة، وتركهم للزمن الذي كان كفيلاً بمعالجة أمرهم.

أما **المثال الثاني**: الذي يجسد أسلوب جس النبض فخاص بالحسن بن علي (رضي الله عنهما). وقد استخدم هذا الأسلوب الدعائي للوقوف على اتجاهات شيعة العراق نحوه، لما أرسلوا اليه يستقدمونه ليبايعوه. وكتبوا إليه نحو (١٥٠) صحيفة. لكن الحسن تريث حتى يستوثق لنفسه، لذلك أرسل إليهم مسلم بن عقيل لاستطلاع رأي الناس وليعجل إليه الأمر. فسار مسلم نحو الكوفة وأميرها يومئذ النعمان بن بشير الأنصاري، فأقبلت الشيعة تختلف إليه، فأرسل إلى الحسن، فعزله يزيد، وولى مكانه عبيد الله بن زياد على الكوفة، فمال إلى العنف وتعقب مسلم وقتله، وكان الحسين قد خرج من مكة بأهله،[١٣٤] وتوالت الأحداث كما هو معروف في كتب التاريخ.

والمهم من هذا أن الحسن بن علي (رضي الله عنهما) لم يستجب لرسائل الشيعة مباشرةً، وإنما استوثق لنفسه أولاً، فارسل يستطلع الأمر على الأرض ويتأكد من تأييدهم الفعلي له، وعلى ضوء ذلك اتخذ قرار الخروج من مكة ومحاربة يزيد، ولكن تلك الرغبة الشيعية لم تلبث أن تغيرت بمجرد تولي عبيد الله بن زياد الكوفة وانتهاجه سياسة العنف، وانصرفوا عن تأييد الحسين وكان لسان حالهم ما قاله الفرزدق للحسين لما التقى به في الطريق ناجيًا من عبيد الله بن زياد: "أَمَّا الْقُلُوبُ فَمَعَكَ، وَأَمَّا السُّيُوفُ فَمَعَ بَنِي أُمَيَّةَ، وَالنَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، قال أَرَاكَ إِلَّا صَدَقْتَ، النَّاسُ عَبِيدُ الْمَالِ، وَالدِّينُ لَغْوٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ بِهِ مَعَايِشُهُمْ، فَإِذَا مُحِّصُوا لِلِابْتِلَاءِ قَلَّ الدَّيَّانُون".[١٣٥]

ثانيًا: أسلوب إثارة الكراهية والسخط

تعتمد الدعاية على الاتجاهات الناقمة والانقسامات السائدة داخل المجتمع في إثارة روح الكراهية، ومشاعر السخط كأساس لتهيئة مناخ ملائم لانتشار الشائعات وتقبلها. وقد لجا الأمويون إلى هذ الأسلوب منذ البداية، فقد أوغر معاوية (رضي الله عنه) صدور جنده على الإمام علي "كرم الله وجهه" بادعاء إيواء علي لقتلة عثمان (رضي الله عنه)، كما أنه بعرضه قميص عثمان ملوثًا بالدماء ولأصابع زوجته المقطوعة على الناس بمسجد دمشق، ساعد على إذكاء مشاعر الكراهية لعلي وجنوده.[١٣٦] وساعد على إذكاء روح الكراهية ضد الأمويين انصراف بعض خلفائهم إلى حياة الترف والبذخ. فقد اشتهر يزيد بن معاوية بحبه للهو،[١٣٧] وكان صاحب طرب، وجوارح، وكلاب، وفهود، ومنادمة على الشراب. أما يزيد بن عبد الملك، فقد كان صاحب لهو، وقد شغف بحبابة واشتهر بذكرها، وقال عند موتها: "فإن تسل عنك النفس أو تدع الصبا... فبالياس تسلو عنك لا بالتجلد".[١٣٨] كما اشتهر ابنه الوليد باللهو. وكانت هذه التصرفات وغيرها مادة دسمة للدعاية لإثارة مشاعر الكراهية والسخط والعداء ضدهم.

والمتصفح لتاريخ الدولة السياسية يلحظ المقدرة الكبيرة لدى دعاة بني العباس الذين كانوا يسترون بزي التجار منعًا لإثارة الانتباه، مستفيدين من كل العناصر المستاءة من بني أمية ونجحوا في الاستفادة من الأحداث المختلفة والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إثارة مشاعر العداء للأمويين، ولم يترددوا في الاستفادة من فكرة معارضة أو أي فئة قادرة على إثارة الاضطراب ضد بني أمية قصد تفتيت القوى المحيطة بالحكم الأموي وإيجاد الأرضية المناسبة لإقامة دولتهم.

ثالثًا: أسلوب طرق الأبواب

وتعمل الدعاية كما يقول "غوبلز" على طرح الفكرة في كل مكان.[١٣٩] والدعاية لا حدود لها في أشكالها وقابليتها على التكيف وتبادل آثارها، فهي وسيلة لتحقيق هدف ما، والهدف هو قيادة

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

الناس إلى الأفكار التي ترغب في أن يعتنقونها، وحتى تنجح الدعاية لابد أن يعرف رجل الدعاية ماذا يريد؟ أي لابد أن يكون هدف الدعاية واضحًا، وأن يوضع نصب عيني رجل الدعاية، ثم عليه أن يبحث عن المناهج والوسائل المناسبة التي سيستخدمها.[١٤٠] وحتى تصل الدعاية إلى هدفها وهو التأثير في الناس لابد أن تسلك كل السبل، وتستغل كل الوسائل التي تجعل أفكارها في متناول عقل، وسمع، وبصر الجماهير المستهدفة في أي مكان.

ورغم محدودية الوسائل في العهد الأموي مقارنةً بالعصر الحالي، إلا أنها استفادت من أسلوب الدعاية من الباب إلى الباب، فقد استطاعت الاتجاهات السياسية آنذاك أن تحول المجتمع بأكمله إلى دائرة نقاش وجدل وحوار حول المسائل المطروحة بفضل الوسائل الدعائية المتعددة التي جندها الأمويون وخصومهم لخدمة دعايتهم، كما بينا آنفًا في مبحث وسائل الدعاية في العهد الأموي.

رابعًا: أسلوب التفريد

من الأساليب التي تساعد على نجاح الدعاية أسلوب التفريد، ومعناه تفريد القيادة والخصم والهدف. **فتفريد القيادة**: معناه تحديد جهة واحدة هي التي تقوم بتوجيه الدعاية والتنسيق لها ورسم خططها وسياستها وضمان استمراريتها. **وتفريد الخصم**: معناه تحديد عدو واحد توجه إليه كل جوانب النقص، وكل مشاعر الكراهية والاستنكار. هذا العدو يجب أن يكون واضحًا ملموسًا حتى يركز عليه الجمهور مشاعر العداء والكراهية بشكل طبيعي. أما **تفريد الهدف**: فمعناه تحديد الهدف الأولى بالرعاية الذي تتوجه إليه كافة وسائل الدعاية وأفكارها وأساليبها المختلفة لتحقيقه، ولا شك أن التركيز على هدف واحد وأفكار محددة تخدم هذا الهدف يوفر الفرصة للتأثير على الأفراد. ويجعل الدعاية عالقة بالأذهان والنفوس زمنًا طويلاً.[١٤١]

وقد انتهج معاوية (رضي الله عنه) هذا الأسلوب، فمنذ بداية الصراع مع علي "كرم الله وجهه" كان هدف الخلافة واضحًا بل أن هذا الهدف كان في ذهنه ويعمل له منذ كان واليًا لعُمر وعثمان (رضي الله عنهما)، كما وجه خصومته وعداوته في نزاعه إلى الإمام علي، وحاول بكل الوسائل اختراق جبهته واستمالة أنصاره. وبعد وصوله إلى الخلافة حدد هدفه في كيفية جعلها وراثية. ومن الذين سلكوا دربه، عبد الملك بن مروان، فقد كان لا يفرغ جهده إلا لعدو واحد، ولذلك عندما احتدم القتال بين ابن الزبير وبين الشيعة والخوارج تركهم ولم يتعرض لهم، وذلك لإضعاف عبد الله بن الزبير الذي لم يكد يفرغ من قتال المختار حتى خرج إليه بعد أن هادن إمبراطور الروم، حتى لا ينتهز فرصة انشغاله بقتال ابن الزبير ليغير على بلاد الشام، وقبل الدخول في حرب مع ابن الزبير أنهى عصيان عمرو بن سعيد.

خامسًا: الشعارات

الشعارات من الأساليب الدعائية التي تحدث تأثيرات آنية، وهي أداة أساسية في المجالات الدينية والسياسية منذ أقدم العصور. وقد ارتبطت الشعارات بالحركات الشعبية والجماهيرية. والشعارات المتعلقة بالاتجاهات السياسية كشعار الحرية والمساواة والأخوة ذات أثر بالغ في التغيير السياسي والاجتماعي أو في محاولة التغيير.[١٤٢]

وقد استغلت الشعارات منذ بداية الصراع السياسي على الخلافة. ومن اهم تلك الشعارات (لا حكم الا الله) وقد ظهر هذا الشعار نتيجة رفض الخوارج للتحكيم بين علي ومعاوية (رضي الله عنهما).

ومن شعارات الثورة العباسية قبل وصولها إلى الحكم (المساواة بين الشعوب) (الدعوة للرضا من ال البيت) (الإصلاح السياسي والإداري). أما بعد وصولهم إلى الحكم فقد أعلنوا أنهم جاءوا للعمل بكتاب الله وسنة نبيه (ﷺ)، ولبسوا بردة رسول الله التي أهملها بني أمية، واهتموا بالفقهاء، وحاربوا الحركات المتطرفة كالرواندية،[١٤٣] التي اعتقدت لإمامتهم وعملت من أجل انتصارهم، كما واجهوا العلويين والخوارج والشخصيات القبلية، وغيرهم ممَنْ عاضدهم من أجل التخلص من الأمويين.

سادسًا: الشائعات

الشائعة فكرة خاصة يعمل رجل الدعاية على أن يعلم بها الناس، كما يعمل على أن ينقلها كل شخص إلى الآخرين حتى تشيع بين الجماهير جميعها.[١٤٤] وهي من أهم أساليب الدعاية. وتعد من الأسلحة الناجحة في أوقات الحروب والأزمات لإثارتها لعواطف الناس وتركها لأثر عميق في النفوس في الوقت الذي تستولي على الناس مشاعر الرعب والخوف.[١٤٥]

وقد استخدم معاوية الشائعات في حربه ضد الإمام علي "كرم الله وجهه" وركز على شخصه وحاول الانتقاص منه، ومما أشاعه عنه أنه رجل ذو دعابة، وأنه قليل الدهاء، ولا علاقة له بالحرب وفنون القتال، ولا يصلح للخلافة ولا علم له بالرجال ولا بأخلاق الرعية.[١٤٦] كما استخدمها في حروبه ضد آل البيت. من ذلك ما روجه عن انهزام جيوش الحسن أمام جند الشام، ومما أدى بأهل العراق إلى التخلي عن الحسن. مما حدا بالحسن إلى التنازل عن الخلافة لمعاوية حقنا لدماء المسلمين.[١٤٧] روى الحاكم عن جبير بن نفير قال: قلت للحسن إن الناس يقولون إنك تريد الخلافة، فقال: "قد كانت جماجم العرب في يدي تحارب من حاربت ويسالمون من سالمت فتركتها ابتغاء وجه الله وحقن دماء أمة محمد".[١٤٨]

ومن الشائعات التي روجتها المعارضة قصد الإساءة الى عبد الملك بن مروان، قال ابن أبي عائشة: افضى الأمر إلى عبد الملك بن مروان وكان المصحف في حجره فأطبقه وقال: "هذا اخر العهد بك".[١٤٩] وكان لهذه الشائعات وقع كبير في نفوس الرعية إلى درجة أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية نتيجة ما أشيع عنه من المجون واللهو. أورد الواقدي بإسناد أن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل قال: "والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نُرمى بالحجارة من السماء. إنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة".[١٥٠]

ومن الشائعات ذات المغزى ما روى صاحب الأنباء، وفحواها أن عبيد الله بن زياد لما أرسل رأس الحسين بن علي (رضي الله عنهما) إلى يزيد وكان نازلاً بأنطاكية، فلما كان الرسول في الطريق وأجنه الليل عدل إلى دير فيه رهبان فبات فيه. وفي منتصف الليل قام بعض الرهبان لشأنه فرأى عمودًا من نور متصلاً من تلك المخلاة ولبن السماء، فتقدم إلى المخلاة وفتشها فوجد الرأس فيها فقال لا شك أن هذا رأس المقتول بكربلاء فمضى وأخبر بقية الرهبان. ولما حضروا ورأوا تلك الصورة أسلموا كلهم على الرأس وحولوا الدير إلى مسجد وكان عددهم سبعمائة راهب.[١٥١]

خاتِمَةٌ

إن الكثير من أبناء أمتنا الإسلامية والعربية مازال يتخوف من لفظ الدعاية وينفر منها، نتيجة الاستعمالات السيئة والسلبية لهذه المفردة من قبل الغرب، مع أن اللفظ أصيل في لغة العرب. فكلمة الدعاية من "دعا، يدعو، دعوة، ودعاية، نحو شكا يشكو شكاية"،[١٥٢] بمعنى: الاستمالة، والترغيب، والتحبيب، والحثّ، ونشر القيم والمبادئ، ولا يوحي هذا المعنى بأي مفهوم سلبي، إلا أن الاستعمال الاصطلاحي للكلمة استدعى فهمًا سيئًا، وموقفًا سلبيًا من المفردة، ورغم أن الدعاية قد تكون صادقة وخيرة وبناءة كدعاية الرسل عليهم الصلاة والسلام، إلا أن المتلقي اليوم لا يثق بها وينظر إليها باعتبارها قرينة للكذب، وأداة للسيطرة والتفريق والتشتيت، وأسلوب للتأثير على المعنويات، ووسيلة خطرة من وسائل الحرب النفسية.

ومن خلال الاستعراض التاريخي للعهد الأموي وخاصةً في ظل الصراع السياسي للأمويين مع خصومهم السياسيين، وجدنا أن المسلمين مارسوا الدعاية بأساليبها التي عرفت بها في العصر الحديث، بوسائل تتناسب وعصرهم وبيئتهم الفكرية والثقافية والاجتماعية. وإذا كان المسلمون لم يطلقوا على تلك الممارسات لفظ الدعاية فهي لا تعدو أن تكون ممارسات دعائية، سواء من جهة الحزب الحاكم لتقوية مركزه في السلطة وإضعاف خصومه، أو من جهة الأحزاب المعارضة للإطاحة بالحزب الحاكم (الأمويين) والاستلاء على السلطة، وقد استعملت في ذلك كل فنون الدعاية الحديثة، وإن اختلفت وسائلهم عن وسائل العصر الحديث نظرًا للتفاوت التكنولوجي والعلمي.

ولا شك أن الدارس للتاريخ الإسلامي بمنظور إعلامي يدرك أن الدولة العباسية مثلاً قامت على أنقاض الدولة الأموية بعد أن مارست كل أساليب الدعاية مستغلة كل الوسائل المتاحة آنذاك. وقد برزت من خلال هذه الدراسة الأسس الفكرية والنفسية للدعاية في العهد الأموي، كما عرجت على أهم الأساليب الدعائية التي استخدمت خلال ذلك العهد، مختتمًا الدراسة بأهم الوسائل التي وظفها المتصارعون لتحقيق أهدافهم ومارسهم المشروعة وغير المشروعة.

الهَوامِشُ:

(١) أخرجه البخاري: في **كتاب الجهاد**، ومسلم: في **كتاب الجهاد والسير**.

(٢) المسعودي أبي الحسن علي بن الحسين بن علي: **مروج الذهب**، المطبعة البهية المصرية، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، ١٣٤٦هـ، ج٢/، ص٧٢.

(٣) محمد منير حجاب: **نظريات الإعلام الإسلامي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨٢، ص٥٣.

(٤) حامد عبد السلام زهران: **علم النفس الاجتماعي**، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٤م، ص٧٤.

(٥) أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم، **سيرة عُمر بن عبد العزيز**، تحقيق أحمد عبيد، مكتبة السنة، القاهرة، ط٢/ ١٩٥٦م، ص ٣٧.

(٦) أحمد الحوفي: **أدب السياسة في العصر الأموي**، دار العلم للملاين بيروت، بدون تاريخ، ص٣٧٠.

(٧) المسعودي: مرجع سابق، ص٢٢٩ – ٢٣٠.

(٨) الطبري أبي جعفر محمد بن جرير: **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق عبد السلام هارون، المعارف، القاهرة، ط٣/ ١٩٦٩م، ج٣/ ص١٢٨.

(٩) أحمد أمين: **ضحى الإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ج٣/ ص٢٤٩.

(١٠) محمد بن المنذر الأنصاري: **منار الهدى**، مطالع المدينة، ١٤٠٥ هـ، ص١١٤-١١٥.

(١١) أحمد الحوفي: **أدب السياسة في العصر الأموي**، دار العلم للملاين بيروت، بدون تاريخ، ص١١-١٣.

(١٢) محمد عبد القادر أحمد: **دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٣٥.

(١٣) ابن عبد ربه أبي عمر أحمد بن محمد بن حبيب: **العقد الفريد**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ج٢/ ص١٣٥

(١٤) محمد عبد القادر أحمد: مرجع سابق، ص٤٤

(١٥) المرجع نفسه، ص٤٥

(١٦) محمد ماهر حمادة: **الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعهد الأموي (٤٠ - ١٣٢)**، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٤م، ص٣٢.

(١٧) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري: **تهذيب اللغة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت،٢٠٠١م، مادة "خطب" ج ٢٤٦/٧.

(١٨) مجد الدين الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، دار مكتبة النشر- الجزائر- ط١-سنة ١٩٦٨ مادة "خطب" ج٦٥/١.

(١٩) الفيومي: **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٣، مادة "خطب" ١ج/١٧٣.

(٢٠) أبي زكريا يحيى بن شرف النووي: **تحرير ألفاظ التنبيه**، أو المسمى بـ "**لغة الفقهاء**"، تحقيق وتعليق: الشيخ عبد الغني الدقر، نشر دار القلم بدمشق سنة ١٤٠٨هـ، ص، ٨٤ - ٨٥.

(٢١) علي بن محمد بن علي الجرجاني: **التعريفات**، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٨م، ص٩٩.

(٢٢) مصلح سيد بيومي: **الخطابة في الإسلام**، دار القلم، الكويت،١٩٨١، ص ١١.

(٢٣) محمد أبو زهرة: **الخطابة، أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢/١٩٨٠م، ص١٩.

(٢٤) عباس الحسيني: **علم النفس العسكري**، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٩م، ص٦٢-٦٣، بتصرف.

(٢٥) ابن عبد ربه: مصدر سابق، ج٢/ ص٤١.

(٢٦) ابن أبي الحديد المعتزلي: **نهج البلاغة**، مكتبة الالفين، الكويت، ١٩٨٦م، ص٨٨ - ٩١.

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

(٢٧) أحمد زكي صفوت: **جمهرة العرب في عصور العربية الزاهرة**، دار القلم للطباعة والنشر، ٢٠٠٦م، ج ٢/ ص٤٦٢، وانظر: أبي الفرج الأصفهاني: **الأغاني**، تحقيق طه حسين، إبراهيم الابياري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥م، ج٢ / ص ١٠٥.

(٢٨) عبد الطيف حمزة: **الإعلام والدعاية**، مرجع سابق، ص٧٨.

(٢٩) محمد عبد القادر أحمد، مرجع سابق، ص٣٧.

(٣٠) أحمد الحوفي: مرجع سابق، ص٢٨٢.

(٣١) ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، مصدر سابق، ج٢/ ص١٢٦.

(٣٢) ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، مرجع سابق، ج١/ ص١٥.

(٣٣) عبد اللطيف حمزة: **الإعلام والدعاية**، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨م، ٨٥ - ٨٦.

(٣٤) فان فلوتن: **السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية**، ترجمة حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم، دار النهضة المصرية القاهرة، ١٩٦٥م، ص٧٩- ٨٠.

(٣٥) حسنين عبد القادر: **الرأي العام والدعاية وحرية الصحافة**، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٢/ ١٩٦٢م، ص٨٨ – ٩٠.

(٣٦) المبرد أبي العباس محمد بن يزيد: **الكامل في الأدب**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م، ج٣/ ص١٧٠.

(٣٧) المبرد: **الكامل في الأدب**، نفس المصدر، ج٣/ ص٢٢٠.

(٣٨) الجاحظ أبي عثمان بن بحر: **البيان والتبين**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط٧/، ١٩٩٨م، ج١/ ص٤٢. وكذا، ابن أبي الحديد المعتزلي: **شرح نهج البلاغة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ج٤/ ص٢٠٥.

(٣٩) حسن إبراهيم حسن: **النظم الاسلامية**، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٤/ ١٩٧٠م، ص٣٢٩.

(٤٠) انظر: أحمد بن إبراهيم القيسي: **شرح هاشميات الكميت، تفسير أبي رياش**، تحقيق: داود سلوم نوري حمودي القيسي، عالم الكتب، ط ١٩٨٦/٢م.

(٤١) أبو عبد الله الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٦م، ج١/ ص٥٦.

(٤٢) عبد اللطيف حمزة: **الإعلام والدعاية**، مرجع سابق، ص٧٨.

(٤٣) عبد القادر أحمد، مرجع سابق، ص٣٥.

(٤٤) محمد منير حجاب: **الدعاية السياسية وتطبيقاتها قديمًا وحديثًا**، دار الفجر للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م، ص٢٣٠.

(٤٥) الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، مرجع سابق، ص١١٢.

(٤٦) حسنين عبد القادر: **الرأي العام والدعاية وحرية الصحافة**، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٢/ ١٩٦٢م، ص٨٢ – ٨٤.

(٤٧) عبد اللطيف حمزة: **الإعلام له تاريخه ومذاهبه**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٦١ – ٦٣.

(٤٨) خليل داود الزور: **الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني الهجرة**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧١م، ص٧١.

(٤٩) المرجع نفسه، ص٨٢.

(٥٠) إبراهيم إمام: **أصول الإعلام الإسلامي**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٥م، ص١١٣- ١١٤.

(٥١) أبو الفرج الأصفهاني: **الأغاني**، تحقيق: طه حسين، إبراهيم الابياري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥م، ج٢ / ص ٦٥.

(٥٢) أحمد رمضان أحمد: **الخلافة في الحضارة الإسلامية**، دار البيان العربي، جدة، ١٩٨٣م، ص٢٦٣.

(٥٣) نجدة خماش: **الإدارة في العصر الأموي**، دار القلم، دمشق، ١٩٨٠م، ص٢٨٥.

(٥٤) عبد الرحمان ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتاب اللبناني،١٩٨١م، ص٤٧١ – ٤٧٢.

(٥٥) أحمد رمضان أحمد، مرجع سابق، ص٢٦٣.

(٥٦) المرجع نفسه، ص٢٦٠.

(٥٧) حسان علي حلاق: **تعريب الدواوين في العصر الأموي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٨م، ص٤٢.

(٥٨) حسن إبراهيم حسن: **النظم الإسلامية**، مرجع سابق، ص٢٤٩.

(٥٩) أحمد رمضان أحمد: مرجع سابق، ص٢٥٩.

(٦٠) حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص٤٤٩.

(٦١) يرى عبد الرحمن فهمي أنها صورة عبد الملك بن مروان، ويرى أرنولد ويؤيده زكي محمد حسن أنها رمز لخليفة المسلمين. انظر: عبد الرحمان فهمي محمد: **موسوعة النقود العربية، (فجر السكة العربية)**، دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٤٦.

(٦٢) أحمد بدر: **الرأي العام**، ص١٤٠.

(٦٣) عبد الحلم محمود السيد: **علم النفس الاجتماعي والإعلام**، ترجمة: محمود برهوم ونقولا ناصر، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن ١٩٩٣م، ص٤٥٤.

(٦٤) جان ماري دومناك: مرجع سابق، ص٧٨.

(٦٥) عبد الحليم السيد: مرجع سابق، ص٥٤.

(٦٦) انظر: ابن الوردي زين الدين عمر بن مظفر: **تاريخ ابن الوردي**، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م، ج١/ ص١٤٧.

(٦٧) الطبري: مصدر سابق، ج٦/ ص٣٥ – ٣٦.

(٦٨) حسن إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، دار الجيل للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م، ج١/ ص٥٣٦ – ٥٣٧.

(٦٩) السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ الدولة العربية**، دار النهضة العربية، القاهرة،١٩٧١م، ص ٧٠٢-٧٠٣.

(٧٠) حسن إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، مرجع سابق، ص٢٤٥.

(٧١) سيد أمير علي: **مختصر تاريخ العرب**، ترجمة: عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٨١م، ص١٧٠.

(٧٢) حسن إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، مرجع سابق، ص٥٢٣.

(٧٣) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: **فتوح البلدان**، تحقيق: صلاح الدين المنجد، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٣٥٦هـ، ص١٣٧- ١٣٨.

(٧٤) المسعودي: مرجع سابق، ص١٦٧.

(٧٥) حسن إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، مرجع سابق، ص٥٢٧.

(٧٦) رواه البخاري، ومسلم، انظر: "**صحيح البخاري**"، ج(٢)، ص ٧٦، و"**صحيح مسلم**"، ج ٤، ص ٤٦.

(٧٧) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ج٢/ ص٢٦١.

(٧٨) أبي المعالم المشرف بن المرجى بن إبراهيم المقدسي: **فضائل بيت المقدس**، ١٩٦٠، ص١٥٩.

(٧٩) ابن منظور: **لسان العرب**، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٥٦ ص، ج262/5، - 270.

(٨٠) الرازي: **مختار الصحاح**، دار الحداثة، بيروت، لبنان ١٩٨٢، ص ٤٨٢.

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

(٨١) ابن سيدة: **المخصص**، المكتب التجاري للطباعة، التوزيع والنشر بيروت، بدون تاريخ، ج١/ ص٤٤.

(٨٢) القلقشندي: **صحيح الأعشى**، الطبعة الأميرية، القاهرة ١٩١٥، ج٣/ص ٤٦٩ -٤٧٠.

(٨٣) علي بن برهان الدين الحلبي: **السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون**، دار المعرفة -بيروت – ١٤٠٠هـ، ج٢/ص٢١٥

(٨٤) أحمد رمضان علي: مرجع سابق، ص ٢٧٩- ٢٨٠.

(٨٥) محمد الخضر حسين: **محاضرات تاريخ الأمم الإسلاميَّة**، دار المعرفة، ط٤، ج٢/ ص١٦٤.

(٨٦) فان فلوتن: مرجع سابق، ص١٢٥- ١٢٦.

(٨٧) سيد أمير علي: مرجع سابق، ص١٧٠.

(٨٨) محمد بن محمد العمراني: **الأنباء في تاريخ الخلفاء**، تحقيق قاسم السامرائي، دار العلم للملايين، الرياض، ط٢/ ١٩٨٢م، ص٥٦.

(٨٩) منير حجاب: **الدعاية السياسية وتطبيقاتها قديمًا وحديثًا**، دار الفجر للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م، ص٢٥٠.

(٩٠) مختار حمزة: **أسس علم النفس الاجتماعي**، دار المنار، جدة ١٩٧٩م، ص٢٢٨.

(٩١) محمد السيد الوكيل: **عناية الإسلام بتخطيط المدن وعمارتها**، دار الأنصار، القاهرة، ١٤٠٢هـ، ص١٥٩.

(٩٢) محمد عبد القادر حاتم: **الإعلام والدعاية، نظريات وتجارب**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٧٢.

(٩٣) سعدي أبو حبيب: **مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية**، دار لسان العرب، بيروت، ١٩٧٢م، ص١٣٨- ١٣٩.

(٩٤) حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص٣٤٢.

(٩٥) أبو حازم القرطاجي: **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق: منيف موسى، دار الفكر، بيروت،١٩٩١م، ص١٤.

(٩٦) محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية: **مفتاح دار السعادة**، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، دار ابن عفان، ١٩٩٦م، ص١٤٤- ١٤٦.

(97)Daniel Katz with Robert L. Kahn: *The Social Psychology of Organizations*, 1978. Pp. 258 - 259.

(٩٨) محمد عبد القادر أحمد: مرجع سابق، ص١٠٣- ١٠٥.

(٩٩) أخرجه أحمد في **المسند** ج٤/ ص٢١٦. **صحيح سنن الترمذي** ج٣/ ص٢٣٦. وصححه الألباني في **سلسلة الاحاديث. الصحيحة والضعيفة**، المكتب الإسلامي للنشر والتوزيع.١٩٨٥م ج ٤ / ص٦١٥. وقال بعد أن ذكر طرقه: رجاله كلهم ثقات رجال مسلم، فكان حقه أن يصحح.. وقال: وبالجملة فالحديث صحيح وهذه الطرق تزيده قوة على قوة، وزاد الإمام أبو بكر محمد بن الحسين، الآجري: في كتابه **الشريعة**، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م، ج٥/ ص ٢٤٣٦- ٢٤٣٧ لفظة: ولا تعذبه.

(١٠٠) أخرجه أحمد في **المسند**، ج٤، ص١٠١. وصححه بشواهده الألباني في **السلسلة الصحيحة** ٣٢٢٧ . قال الذهبي في **سير أعلام النبلاء**: في مسند أحمد جملة من الاحاديث الضعيفة مما يسوغ نقلها ولا يجب الاحتجاج، أبو عبد الله الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار الفكر بيروت، ١٩٩٥م. وانظر: أحمد بن حنبل: **فضائل الصحابة**، دار الكتب العلمية للنشر، لبنان ٢٠٠٨م، ج٢/ ص٩١٣.

(١٠١) أخرجه عبد الله بن محمد بن أبي شيبة في **المصنف**، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، ٢٠٠٦م، رقم الحديث٣٠٧١٥. وانظر: أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني في **المعجم الكبير**، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٤م، ج٥، ص٦٨٧.

(١٠٢) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: **تاريخ الخلفاء**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط١/ ١٩٥٢م، ص١٩٤- ١٩٥.

(١٠٣) أبو عبد الله الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار الفكر بيروت، ١٩٩٥م. وانظر: أحمد بن حنبل: **فضائل الصحابة**، دار الكتب العلمية للنشر، لبنان، ج٣/ ص٣٢٤.

(١٠٤) فان فلوتن، مرجع سابق، ص٧٧.

(١٠٥) انظر: أحمد الحوفي: مرجع سابق، ص٢٠٨ – ٢١٥.

(١٠٦) محمد الخضري: **محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية**، دار المعرفة، ط٤/١٩٩٨م، ج٣، ص٢٢٢.

(١٠٧) سورة النحل، الآية (٩٠).

(١٠٨) الطبري: مرجع سابق، ج٦/ ص١٥٠.

(١٠٩) أحمد الحوفي، مرجع سابق، ص١٥٣.

(١١٠) الأصفهاني: **الأغاني**، مرجع سابق، ج١٩، ص٤٠.

(١١١) أحمد الحوفي: مرجع سابق، ص٢٠١.

(١١٢) المسعودي أبي الحسن علي: **التنبيه والإشراف**، دار تحقيق التراث، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٦٤.

(١١٣) المرجع نفسه، ص٢٧١.

(١١٤) محمد الخضري: مرجع سابق، ص٢٠٢.

(١١٥) جهان رشتي: **الدعاية واستخدام الراديو في الحرب النفسية**، دار الفكر العربي، ١٩٨٥م، ص٦٣.

(١١٦) جان ماري دوميناك: **الدعاية السياسية**، ترجمة: صلاح مخيمر وميخائيل عبدة رزق، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص١٠٩- ١١٠.

(١١٧) أحمد رمضان أحمد، مرجع سابق، ص ١٥٦- ١٥٧.

(١١٨) انظر: **الأغاني**، مرجع سابق، ص٢٩٤. وكذا، أحمد الحوفي، مرجع سابق، ص٨٩.

(١١٩) عمر فروخ: **تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م، ص١٢٩- ١٣٠.

(١٢٠) انظر: محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م، ج ٥/ ص٩٦ - ٩٨. وكذا: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: **أنساب الأشراف**، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، ١٩٩٦م، ص٤٣ - ٤٦. وكذا عمر فروخ: **تاريخ الإسلام**، مرجع سابق، ص١١٨- ١١٩. وكذا: حسن إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، دار الفجر للنشر والتوزيع، ١٩٩٥م، ج١/ ص٣٦٢. الشيخ محمد الخضري: مرجع سابق، ص٣٥- ٤٠.

(١٢١) محمد حسن شراب: **المدينة في العصر الأموي**، مكتبة دار التراث، ١٩٨٤م، ص١١٥.

(١٢٢) علي بن محمد ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، ج٣/ ص٢٠٢.

(١٢٣) المرجع نفسه، ج٤/ ص٨٨.

(١٢٤) عمر فروخ: **تاريخ صدر الإسلام**، مرجع سابق، ص١٢٧- ١٢٨.

(١٢٥) حسنين عبد القادر، مرجع سابق، ص١٣٨- ١٣٩.

(١٢٦) **الازادمردية**: (فرقة شعوبية تدعى الرجال الأحرار) المبغوضون لآل النبي (ﷺ) وأصحابه، ممن فتح الفتوح، وقتل المجوس، وجاء بالإسلام: انظر، الجاحظ: **البخلاء**، مطبعة دار الكتب، ١٩٣٦م،ج١/ ص١١٤.

(١٢٧) هم الذين يقولون بأصلين للوجود، مُختلفين تمام الاختلاف، كل منهما له وجود مستقل في ذاته، وبدون هذين الأصلين لا يمكن فهم طبيعة الكون، الذي تتصارع فيه القوى المتضاربة، التي ينتمي بعضها إلى أحد المبدأين، وينتمي سائرها إلى المبدأ الآخر، مما يعنى أن حقيقة الوجود تنطوي على

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

انقسام داخلي وتقابل ضروري دائم بين أصلين، لكل منهما قوانينه وأطواره الزمنية الخاصة به.

(١٢٨) ويحدد التهانوي طبيعة هذا المصطلح ومجالات استعماله فيذكر أن لفظ "الحشوية بسكون الشين وفتحها، وهم قوم تمسكوا بالظواهر فذهبوا إلى التجسيم وغيره، وهم من الفرق الضالة. قال السبكي في "شرح أصول ابن الحاجب الحوشية طائفة ضلوا عن سواء السبيل يجرون آيات الله على ظاهرها ويعقدون أنه المراد، سموا بذلك لأنهم كانوا في حلقة الحسن البصري فوجدهم يتكلمون كلاما، فقال: ردوا هؤلاء إلى حشاء الحلقة، فنسبوا إلى حشاء، فهم حشوية بفتح الشين. وقيل: سموا بذلك لأن منهم المجسمة، أو هم. والجسم حشو. فعلى هذا القياس فالحشوية طائفة لا يرون البحث في آيات الصفات التي يتعذر إجراؤها على ظاهرها، بل يؤمنون بما أراده الله مع جزمهم بأن الظاهر غير مراد، ويفوضون التأويل إلى الله. وعلى هذا بإطلاق الحوشية عليهم غير مستحسن لأنه مذهب السلف". انظر: التهانوي: **كشاف اصطلاحات الفنون**، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، ج١/ ص٣٩٦.

(١٢٩) إبراهيم إمام: **الإعلام والاتصال بالجماهير**، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط١٩٧٥/٢م، ص٣٢٢.

(١٣٠) انظر: **الطبري**، مرجع سابق، ص٣٥٨، وكذا **أنساب الأشراف**، مرجع سابق، ص ٦٣، وأبي الفرج الأصفهاني: **الأغاني**، مرجع سابق، ج ١١/ ص ٧٤، وأبي الفرج الأصفهاني: **مقاتل الطالبيين**، دار ابن حزم، بيروت ١٩٩٧، ص ١٦٧، وكذا: ابن كثير: **البداية والنهاية**، دار الكتب العلمية، ٢٠٠م، ج ١٠، ص ٢٥، ٢٦، وص ٣.

(١٣١) محمد الطيب النجار: **الدولة الأموية في الشرق**، دار الاعتصام القاهرة، ط٣/ ١٩٧٧م، ص٢٤٣.

(١٣٢) حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص٢٨١.

(١٣٣) محمد الخضري حسن: مرجع سابق، ج٢/ ص١١٤.

(١٣٤) عمر فروخ: **تاريخ صدر الإسلام**، مرجع سابق، ص١٣٢- ١٣٣.

(١٣٥) الشيخ محمد باقر المجلسي: **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤١٤ هـ، ص١٩٥.

(١٣٦) حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص٣٦٧.

(١٣٧) المسعودي، مروج الذهب، مرجع سابق، ج٢/ ص٩٤.

(١٣٨) عبد الرحمان بن الجوزي: **ذم الهوى**، مصطفى عبد الواحد، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ، ج١/ ص٦٥٩.

(١٣٩) جان دومیناك: مرجع سابق، ص٦٦.

(١٤٠) حسنين عبد القادر: مرجع سابق، ص٢٣٩.

(١٤١) محمد منير حجاب: **الدعاية السياسية وتطبيقاتها قديمًا وحديثًا**، مرجع سابق، ص٢٨٦.

(١٤٢) أحمد بدر: **الرأي العام طبيعته وتكوينه وقياسه ودوره في السياسة العامة**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١٧٦.

(١٤٣) **الروندية**: هم أتباع أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الرواندي، كان من أئمة المعتزلة ثم فارقهم وهاجمهم مذهبهم وصار ملحدًا زنديقًا. توفي في سنة 298. ويقولون بالخلافة لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، بوصية أبي هاشم إليه. وهذا قول الروندية. والروندية متفرعة عن العباسية، لكنهم غلوا في القول فيهم، ولذا فإنّ العباسيين قد نبذوهم من بعد أن كانوا من أنصارهم. وكذلك نبذ العباسيون خاصة أنصارهم، وهم الشيعة الغلاة الروندية الذين كانوا منتشرين في فارس بنوع خاص. انظر: الرازي، فخر الدين محمد، **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، ضبط وتقديم محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، لبنان،1986 م. وكذا: الرازي، الشيخ أحمد بن حمدان، **كتاب الزينة**، ج 3/ ملحق بكتاب **الغلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية**، تحقيق : د . عبد الله سلوم السامرائي، ط. دار واسط، بغداد . العراق، بدون تاريخ. وكذا: الدينوري، ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، تحقيق علي شيرى، منشورات الشريف الرضا، قم . ايران، 1413هـ.

(١٤٤) مختار حمزة: **أسس علم النفس الاجتماعي**، دار المنار، جدة، ١٩٧٩م، ص٢٥٨.

(١٤٥) جمال السيد: **أضواء على الحرب النفسية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ١٧٩.

(١٤٦) عبد اللطيف حمزة: **الإعلام في صدر الإسلام**، مرجع سابق، ص ١٦٨-١٦٩.

(١٤٧) حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص٢٧٨.

(١٤٨) جلال الدين السيوطي: **تاريخ الخلفاء**، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٩٩م، ص١٩٢.

(١٤٩) المصدر نفسه، ص٢١٧.

(١٥٠) محمد بن سعد: **الطبقات الكبرى**، تحقيق: علي محمد عمر، دار صادر، بيروت، ١٩٨٥م، ج٥/ ص٦٦.

(١٥١) ابن العمراني محمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد، **الإنباء في تاريخ الخلفاء**، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت ١٩٧٠م، ص٥٤.

(١٥٢) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، أشرف على طبعه محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د. ت. ص٣٨.

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449